مجلة الأزهر

جمادى الأولى سنة ١٣٧٥

فى بيت الله

نصير الأزهر — ورجل مصر والعروبة والاسلام

عربية

مجلة الأزهر

جمادى الأولى سنة ١٣٧٥

فى بيت الله

نصير الأزهر — ورجل مصر والعروبة والاسلام

مكتبتنا العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

الاسلام دين ودنيا

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين : سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعـــد .

فانه يسعدنا اليوم أن نستقبل بطلا عظيما من أبطال الثورة . وركنا قويا من أركان النهضة ، هو السيد حسين الشافعي وزير العمل والشئون الاجتماعية ، فهـو يشرف هذا الاجتماع الـكريم الذى تفتتح به الدورة الثانية للدراسات الاجتماعية .

ونحن نقـــدم لسيادته عظيم الشكر ، كما نشكر للذين تفضلوا بتلبية الدعوة لحضور هذا الاجتماع .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ان هذه الدراسات الاجتماعية قد ظهرت ـ بحمد الله ـ بشائر نجاحها ، وذلك بفضل اخلاص القائمين بها والمقبلين عليها ، وجدهم ونشاطهم . وانها ستؤتى قريبا ـ بمشيئة الله ـ خير نتائجها وأطيب ثمراتها ، بتخريج طائفة من أبناء الأزهر ، علماء متفقهين فى الدين ، بصيرين بأحكام الإسلام ، خبيرين بأحوال المجتمع ، واختلاف علله وأدوائه ، وبما ينبغى أن تعالج به كل حالة من حالاته ، بالحـكمة والتعقل والرزانة ، وبالنفس المخلصة المطمئنة التى كل همها الإصلاح وحسن التوجيه والارشاد .

ان الإسلام فيه العلاج الـكافى الشافى لـكل أدواء المجتمعات ، وفيه الهدى الرشيد الوافى بـكل ما يصلح الأفراد والجماعات ، فمتى كان يعمل بجد وحزم واخـلاص على الانتفاع بهذا العلاج ، وعلى الوصول الى الغاية المرجوة منه . فلا بد ـ أولا ـ من الـكشف عن تلك العلل والأمراض ، وتعرف الأدواء المتفشية فى مختلف البيئات والجماعات ، ثم يلتمس علاج ذلك وشفاؤه فى حكمة الإسلام ومباديه وهدى تعاليمه .

مكتبتنا العربية

ان الإسلام محيط عظيم : هو دين وشريعة، أصول وفروع ، عقائد وقوانين أعمال . فى تعليماته الرشيدة وقايات وعلاجات ، وفى تشريعاته الحكيمة مبادئ وقوانين رصينة : قوانين مدنية ، وقوانين جنائية ، وقوانين للأحوال الشخصية ، وتشريع قويم للعلاقات الدولية ، تحكم به الروابط بين مختلف الأمم والشعوب ، وتفصل فيه قواعد الحفظ والأمن ، وقواعد الوقاية والصيانة للأمة الإسلامية فى أوقات السلم وأوقات الحرب .

الإسلام دين ودنيا : هو تقوى وعبادة ، وتدبير شئون ، وتثقيف عقول ، وتقويم أخلاق ، وتنظيم أعمال : ينظم أعمال الفرد ، وأعمال الجماعة ، كما ينظم أحوال الأمم والشعوب .

وأحكام الشريعة الإسلامية فى جميع هذه الشئون هى من وضع الإله الرءوف الرحيم، العليم بحاجات الناس، وما يصلح لهم فى معاشهم ومعادهم، فلا يمكن أن تطاول هذه الأحكام وهذه الشريعة ، أحكام أخرى أو قوانين ، مهما اجتهد فيها البشر ، ومهما تعاونوا على إخراجها ، وبذلوا الجهود فى جعلها ملائمة لحاجاتهم ، مستقيمة مع أغراضهم .

لكى الانتفاع بهدى الدين وإرشاده فى العلاج والإصلاح لا يكون إلا بثلاثة أمور :

الأول : الإيمان به وبتعاليمه إيمانا قويا يملأ العقل والقلب ، ينهض بالنفوس ، ويسمو بالمعنويات . فمن لا يؤمن بتعاليم الإسلام وأحكامه ، وأن ما شرعه القرآن وصحت فيه سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، شريعة ثابتة دائمة صالحة لكل زمان ومكان ، فقلما ينتفع بهدى السنة أو القرآن .

إنه ليس فى القرآن آية أو آيات يصح أن يقال فيها ما يهرف به بعض الجهلاء المخدوعين من أنها آيات معطلة ، أو أنه قد بطل العمل بها ، وأنها إنما كانت تصلح للزمان الذى نزلت فيه «كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا» .

الثانى : فهم الشريعة حق فهمها ، وصحة أخذها من منابعها ، ومعرفة مجملها ومفصلها ، مطلقها ومقيدها ، والوقوف على أسرارها وحكمها ، والربط بين أصولها وفروعها

وهذا شىء يجب أن يعطى حقه من الدراسة الفاهمة الواعية ، المستوعبة التى تكسب العلم الصحيح ، والفقه الحقيق فى الدين .

مكتبتنا العربية

هذه الدراسة هى التى يحمل عبئها الأزهر ، فهو الذى تفرغ لها وتخصص فيها ، وعنى بها علماء الشريعة الاسلامية ، منذ انشاء هذا المعهد العظيم .

ان مبدأ التخصص فى الدراسات هـو المبدأ الحق الذى يجب أن يطمأن اليه ، وأن تبذل الجهود فى سبيله . وهو الذى أخذت به الجماعات والأمم الناهضة . بل هـو المبدأ الطبيعى الذى سارت عليه الإنسانية منذ أن درج على وجه الأرض الإنسان . فلا يمكن إحكام أمر ، أو اتقان بحث الا بالتفرغ له ، والتخصص فيه . فأما الدعاوى الجريئة التى تجر بأصحابها الى التنكر لنظام التخصص فى الدراسات الدينية ، وتذهب بهم الى حدود التورط فى الجدال ، والإسراف فى العناد ، حتى يقول قائلهم : « ليس فى الإسلام رجل دين ورجل دنيا ، وانما كل الناس رجل دين ودنيا معا » مثل هذه الدعاوى ليس لها وصف الا أنها جاهلة مخادعة ظالمة : يظلم بها أصحابها أنفسهم ، ويخادعون بها الناس .

نعم . انه ليس فى الإسلام رجل دين يزعم أن الدين وقف عليه أو على طائفة معينة من الناس ، أو أن نصوصه رموز مبهمة مغلقة ، ليس لهـا مفاتيح الا فى أيدى رجال الدين ، كما يعرض بذلك بعض المجادلين المشاغبين .

كما أنه ليس فى الإسلام رجل دنيا ينكر عليه أن يتصل بالدين ، أو يتعرف ما يريد من أحكام الشريعة بأية وسيلة من الوسائل التى توصله الى هذه المعرفة ، سواء بالقراءة الفاهمة الواعية ، أو بالتلقى ممن يطمأن الى صحة علومهم ومعارفهم فيها .

وليس فى الإسلام ما يمنع أحدا يريد أن يحفظ شيئا من كتاب الله أو سنة رسوله ، ويقف على شرح ذلك وتفسيره ، ومعرفة ما يحمل من أحكام وأخلاق ، ليس فى الإسلام ما يمنعه أن يدرك غايته من ذلك .

نعم . ليس فى الإسلام شىء من هذا ولا ذاك ، ولم يقل بشىء من هذا أو ذاك أحد من المسلمين ، حتى يصح تعريض المعرضين المتهورين .

إنما الذى فى الإسلام والذى يقول به أو يجب أن يقول به جميع المسلمين هو أنه لا يجوز الخبط والخلط فى الدين ، وأنه لا يسوغ لأحد أن يجادل فى أصوله أو فروعه ،

مكتبتنا العربية

عن جهل وتهور ، ومن غير أن يكون ملما بما يلزم من الأدوات والوسائل التى لا بد منها لفهم تلك الأصول والفروع .

إن الدين الإسلامى حق عام ، وواجب عام ، ليس لكائن من كان أن يدعى احتكار تعاليمه ، أو يحجر على غيره أن ينتفع بهذه التعاليم . لكنه ليس لأحد أيضا كائنا من كان أن ينكر على المتخصصين ، فى الدراسات الدينية ، أنهم متخصصون فيها ، وأن شأنهم فى هذا التخصص شأن كل طائفة من العلماء ، تخصصت فى دراسات فرع من العلوم الكونية ، والثقافات المدنية .

إن فرقا عظيما بين أن يقال : إن شأن الدين الإسلامى عظيم فيجب أن يتفرغ له و يتخصص فيه رجال يتقنون فهمه ، ويحمونه من التخليط فيه ، و بين أن يقال ـ وهو ما يصيح به المعرضون ـ : إن الدين حكر ووقف على أفراد معدودين ، وليس لغيرهم أن يتعرفوا منه إلا ما يسمح به رجال الدين .

إن الفرق بين الأمرين عظيم وهائل . و إنه لولا الخلط بين الأمور المتميزة بطبيعتها ، ولولا الغلط أو المغالطة التى كثيرا ما يلجأ بعض الناس إليها ، حبا فى الغلب والانتصار ولو بغير الحق ، لما كثر الجدال الذى امتلأت به الصحف اليومية منذ عهد قريب .

إن التخصص فى علوم الشريعة ، والعناية بحفظ كتابها ودراسته ، ورعاية ما يلزم نحو سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أمر يجب أن يكون فى الأمة الإسلامية ، وأن يفرغ له رجال ، يكون همهم أن يتثقفوا و يتفقهوا فى دين الله ، لينتصحوا به و ينذروا به أقوامهم .

وهذا من أهم الوسائل لحفظ شريعة الله ، وصيانة كتاب الله من التغيير والتحريف اللذين منى بهما كثير من الكتب السابقة .

ولولا أن الله سبحانه وتعالى قد وعد بحفظ كتابه ، وأنه جلت قدرته قد سخر لهذا الحفظ رجالا وعوه عن ظهر قلب ، منذ نزوله على الرسول الأمين ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى يومنا هذا ، لدخل عليه التغيير والتبديل منذ القرن الأول .

مكتبتنا العربية

ولولا أن للشريعة رجالا يحفظونها، و يعرفون مواطن أحكامها، وموارد نصوصها ، لمرت على الناس طائفة كبيرة من الأحاديث الضعيفة والموضوعة من غير أن يدروا أمرها ، ولمرت على الناس كذلك من غير تصحيح ولا تعقيب ، تلك الادعاءات التى يعزو بها أصحابها إلى علماء من أهل التفسير وأهل الفقه أقوالا باطلة لم يذهب أحد منهم الى شىء منها . هذا ـ مع أن كتب هؤلاء المفسرين والفقهاء مطبوعة ومتداولة ، وفى متناول كل من له اتصال بالثقافة الدينية الإسلامية ، وليس فيها ذلك الذى يدعى على أصحابها . بل هى على نقيض ذلك ناطقة بخلاف ما ينسب اليها والى مؤلفيها .

الأمر الثالث ـ وهو مهمة الدراسات الاجتماعية التى نحتفل بها الليلة ـ هو ختام الأمور التى تلزم للاصلاح والانتفاع بهدى الإسلام فى علاج المجتمع من علله وأدوائه . ذلك هو دراسة حالات هذا المجتمع فى شدته ورخائه ، وعسره و يسره ، فى أفراحه وأتراحه ، فى بيعه وشرائه وسائر معاملاته ، وفى كل أسلوب من أساليب معيشته ، وكل شأن من شئون حياته .

يجب أن يوقف على عرف المجتمع وعاداته وأخلاقه ، وما ابتدعه أهله من ذلك أو ورثوه عن آبائهم وأسلافهم ، فأن علم ذلك كله والوقوف عليه بصحيح المعرفة والخبرة ، يمهد السبيل لمعرفة نوع العلاج النافع ، و ييسر الأمر على من يتولى الاصلاح والتوجيه والإرشاد ، كى يصل الى غايته من أقرب الطرق وأقومها ، من غير تعقيد ولا اضطراب ، ولا تفويت فرصة ، أو إضاعة وقت .

إن من ينصب نفسه أو ينصب للهداية والإرشاد والإصلاح ، على ضوء الشريعة وتعاليمها ، لا يكفيه أن يكون عالما بأحكام هذه الشريعة ، وقادرا على أن يعين لكل حكم موطنه الذى يليق له و يحسن موقعه فيه ، فأن ذلك علم نظرى بحت لا يكفى فى مهمة العمل الإيجابى للعلاج والاصلاح الاجتماعى .

فلا بد لمن يتولى هذا الأمر أن يعرف معرفة جيدة أحوال المجتمع الذى يعمل فيه من النواحى التى أشرنا اليها ، وأن يقف بخبرته و بحثه على ما يريد علاجه من الأدواء ، فعلاج الأدواء الاجتماعية كعلاج الأمراض البدنية : فكما أنه لا يستقيم طب الأبدان ، ولا يصل

مكتبتنا العربية

الى غايته من الشفاء ، إلا إذا فحص المريض فحصا جيدا ، واهتدى الطبيب بذلك الى تشخيص علته ومرضه . كذلك علاج المجتمعات لا يثمر ثمرته ، ولا يبلغ التوجيه والإرشاد فيه غايته ، إلا بعد البحث الجيد والفحص الكامل ، لتعرف حقيقة العلل والانحرافات التى تشكو منها الجماعة ، والتى يجب أن تكون الهدف الذى تصوب اليه عوامل التهذيب والاصلاح .

غير أنه ينبغى ألا يغيب عن البال أن الاصلاح الاجتماعى لا يمكن أن يكون طفرة ؛ بل لا بد فيه من التدرج والتمهيد والاعداد ، وتمكين كل خطوة لتؤدى الى ما بعدها ؛ فإن ذلك أدعى الى قبول الاصلاح وتمكينه فى النفوس . ولنا فى صنيع الرسول صلى الله عليه وسلم خير قدوة ، وفى تشريعات القرآن وتدرجاته أحسن أسوة .

يجب أن يبدأ بالأهم الميسرة أسباب علاجه و إصلاحه ، ثم يتدرج الى ما هو أدنى منه فى الأهمية الاجتماعية ، وهكذا تعد وجوه الاصلاح بعضها لبعض ، و يعين السابق منها على الوصول الى اللاحق ، فيعم الاصلاح و يستقيم البناء . والله المستعان يهدى المخلصين الى صراط مستقيم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ما

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

صدر المجلة
عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي
مليم
٤٠٠ في وادي النيل
٤٠٠ للطلبة وادي النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالأوقاف
٥٠٠ خارج الوادي
٣٠٠ للطلبة خارج الوادي
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادي

الجزء الخامس ـ القاهرة في غرة جمادى الأولى ١٣٧٥ ـ ١٥ ديسمبر ١٩٥٥ ـ المجلد السابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الثقافات الأجنبية

استعمار عقلي

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

والدعاة إليها طابور خامس

إذا من الله على أمة بالتحرر من الاحتلال السياسي والعسكري ، فأن من تمام نعمته عليها أن تعرف خطواتها بعد ذلك لاجتياز مفترق الطرق ، فتميز بين الطريق الذي يبتعد بها عن بلاء أنقذها الله منه ، والطريق الذي يلتوي أمامها ليعود بها ـ ولو بألوان أخرى ـ الى نتائج ما كانت فيه .

التحرر من الاحتلال السياسي والعسكري يجب أن يدعم حالا بأسباب القوة : القوة الصناعية والعمرانية والحربية ، وقوامها العلم . والقوة النفسية والخلقية والقومية ، وقوامها الثقافة . والعلم غير الثقافة : هذا شيء ، وهذا شيء آخر . والذي يخلط بين هذين الشيئين المختلفين ويزعم للأمة التي حررها الله من الاحتلال السياسي والعسكري أنهما شيء واحد ، فهو إما رجل يجهل سنن الله في نهوض الأمم وقيام الدول ، أو رجل غشاش يريد أن يدفع

مكتبتنا العربية

بالأمة فى الطريق الذى يلتوى أمامها ثم يعود بها — ولو بألوان أخرى — الى نتائج ما كانت فيه .

إن مفترق الطرق الذى بلغناه الآن بعد أن تحررنا من الاحتلال السياسى والعسكرى يناديا بأن نكون أيقاظا وألمعيين فى تخير الطريق الذى يبعدنا عن البلاء الأعظم بعد أن أنقذنا الله منه ، وأن لا ننخدع بالطريق الآخر الذى يلتوى بنا ليسلبنا مقومات كياننا التى لا معنى للاستقلال السياسى والعسكرى بدونها .

العلم الذى نحتاج إليه فى تنمية قوتنا الصناعية والعمرانية والحربية لا يختلف عليه أحد فى مصر ولا فى العالم العربى ولا فى دنيا المسلمين . كلنا متفقون على وجوب تعميم تعليم العلوم الكيماوية والطبيعية والهندسية والطبية والزراعية والعسكرية ، وعلى أن نحول نظرياتها فى الكتب والكليات الى نشاط عملى فى المصانع والمعامل ودور الاختبار والتجربة والدراسة الفنية والانتاج ، لنكون كغيرنا من الأمم أقوياء بصناعاتنا ، أغنياء بمهندسينا ، وعاملين على أن يكون حماة حدودنا من أبنائنا مسلحين بأساحة من صنع أوطاننا . ولو أنك تحدثت فى هذه الحقائق مع أى قروى أو أعرابى فى الصعيد أو فى ليبيا أو فى أعماق نجد أو فى جبال الأطلس أو قرى كشمير لرأيت الجميع على عقيدة واحدة فى ذلك ، فهل من المعقول أن يشذ عن هذا الإجماع علماء الأزهر أو طلبته وهم يعلمون ويتعلمون مبادئ هذه العلوم ويعرفون ما تجنى البلاد من ثمراتها إذا بلغنا فيها الأوج ، وصار عندنا من رجالنا أعلام من علمائها يضارعون أمثالهم فى البلاد التى بلغت نهاية الشوط فى هذا المضمار ؟

إذن فالعلم الذى ندعم به القوة الصناعية والعمرانية والحربية فى مصرنا وأوطاننا العربية وبلادنا الإسلامية لا يختلف على ضرورته أحد ، والأمة تقدم بنيها الى الكليات والمعاهد التى تعلم هذه العلوم ليكونوا جنودا فى إنهاض البلاد بها ، وعاملين على رفع مستوى مصر وبلاد العروبة والعالم الإسلامى حتى تلحق بركب الحضارة ، بعد أن حال بينها وبين ذلك فى السنين الماضية تيار الاستعمار ، وسوء أنظمة الحكم السابق على زمن الاستعمار .

وهنالك شىء آخر غير هذه العلوم اصطلح الناس على أن يسموه « ثقافة » وهى ذات ألوان تختلف باختلاف الأمم ، فالثقافة اللاتينية — مثلا — لها ذوق ولون ومنحى تختلف به عن الثقافة السكسونية أو الجرمانية أو الصقلبية ، بل إن الثقافة اللاتينية تختلف فى البلاد

اللاتينية ، فنراها فى ايطاليا ذات ملامح تفترق بها عن ملامح الثقافة الفرنسية أو البلجيكية أو السويسرية أو الاسبانية ، وأمريكا وانجلترا مع أن لهما لغة واحدة وآدابا متقاربة فأن ثقافة هذه بجملتها تفترق عن ثقافة الأخرى بجملتها ، وإذا ذهبت الى روسيا أو يوغوسلافيا أو بلغاريا وسائر البلاد الصقلبية تجد لثقافتها لونا يختلف عن لون الثقافة السكسونية أو اللاتينية ، بل أن البلاد الصقلبية تشعر بفروق فيما بينها تكاد تكون ملموسة ، والثقافة فى اسرائيل لها ينابيع واتجاهات ومناهج تختلف بالمرة عن ثقافات الأمم التى استعرضنا أسماءها ، واليابان مع أنها أخذت كل العلوم الكونية واستعملتها فى مصانعها ودور أعمالها فأن لها ثقافة خاصة بها تختلف عن غيرها ، وهذا أمر طبيعى لا يتجاهله أو يمارى فيه إلا ذو هوى ، بل إننا فى وزارتنا التى كانت تسمى فى أيام الأحزاب وزارة المعارف طالما راقبنا التيارات والاصطدامات بين أنصار الثقافة والتربية الفرنسية ، وأنصار الثقافة والتربية الانجليزية ، ولما ازداد عدد المتعلمين منا فى أمريكا صرنا نرى فى تلك الوزارة لونا ثالثا غير اللونين والذوقين والثقافتين الفرنسية والانجليزية .

وقد لاحظ مثل هذه الفروق قبل نحو ثلاثين سنة نابغة لبنان جبران خليل جبران فقال فى جواب استفتاء وجه إليه من مجلة الهلال ، ونقلته مجلة الهلال بعد ذلك الى كتاب عنوانه (فتاوى كبار الكتاب والأدباء فى مستقبل اللغة العربية ، ونهضة الشرق العربى ، وموقفه إزاء المدنية الغربية) ص ٣٦ ـ ٣٧ :

« فى سوريا ـ مثلا ـ كان التعليم يأتينا من الغرب بشكل الصدقة ، وكنا ولم نزل نلتهم خبز الصدقة لأننا جياع متضورون ، ولقد أحيانا ذلك الخبز ، ولما أحيانا أماتنا . أحيانا لأنه أيقظ بعض مداركنا ونبه عقولنا قليلا ، وأماتنا لأنه فرق كلمتنا وأضعف وحدتنا وقطع روابطنا ، وأبعد ما بين طوائفنا حتى أصبحت بلادنا مجموعة مستعمرات صغيرة مختلفة الأذواق متضاربة المشارب كل مستعمرة منها تشد فى حبل إحدى الأمم الغربية وترفع لواءها وتترنم بمحاسنها وأمجادها : فالشاب الذى تناول لقمة من العلم فى مدرسة أمريكية قد تحول بالطبع الى معتمد أمريكى ، والشاب الذى تجرع رشفة من العلم فى مدرسة يسوعية صار سفيرا افرنسيا ، والشاب الذى لبس قميصا من نسج مدرسة روسية أصبح ممثلا لروسيا . . الى آخر ما هنالك من المدارس وما تخرجه فى كل عام من الممثلين والمعتمدين والسفراء . . وقد يكون ميلنا الى الأمة التى نتعلم عندها دليلا على عاطفة عرفان الجميل فى نفوس الشرقيين ، ولكن ما هذه العاطفة التى تبنى حجرا من جهة واحدة وتهدم جدارا

من الجهة الأخرى ؟ ما هذه العاطفة التى تستنبت زهرة وتقتلع غابة ؟ ماهذه العاطفة التى تحيينا يوما وتميتنا دهرا ؟ » .

وأنت ترى من هـذا أن الثقافات والأساليب الفكرية ومناهج التعليم تختلف ألوانها ومقاصدها وتوجيهاتها باختلاف الأمم الصادرة عنها ، ولا كذلك العلم ، فالعلم له لون واحد ووجه واحد فى كل أمة وفى كل بلد : تأخذ أى قسم من أقسام الطبيعة أو الكيمياء أو الهندسة بأى لغة شئت ـ اليابانية أو العبرية أو الروسية ـ فلا تجده عند أمة مخالفا لما عند الأمة الأخرى فى قليل ولا كثير ، وأما الثقافة فهى ذات الوجوه ، وهى كالحرباء متنوعة الألوان ، وكلما احترمت الأمة نفسها وتمسكت باستقلالها كانت أشد بعدا عن الثقافات الأجنبية ، وأكثر حرصا على أن تكون ذات ثقافة مستقلة تستمدها من كيانها ومن مواريثها ومن إيمانها واقتناعاتها ومن أمجادها واتجاهاتها . اقرأ تاريخ الثورة الفرنسية فى كتب الفرنسيين والانجليز تجد اختلافا كبيرا لا فى الوقائع بل فى تفسيرها وتعليلها وتوجيه أغراضها ، اقرأ ترجمة حياة چان دارك فى كتب هؤلاء وهؤلاء تلق العجب العجاب .

فى سنة ١٩٢٨ زار مصر الأستاذ المستشرق الإيطالى ميكائيل أنجلو جويدى الأستاذ بجامعة روما ـ وكان قبل ذلك أستاذا فى جامعة القاهرة أيضا ـ فألقى فى قاعة الجمعية الجغرافية أربع محاضرات عن علم الشرق وتاريخ العمران حاول فيها درس مسألة خطيرة من مسائل التاريخ وهى تاريخ العمران وهل كان أصله شرقيا أم غربيا ، وأراد أن ينتهى الى نتيجة فى أصل العلوم اليونانية ، وهل هى ـ أو بعضها ـ منتقلة من الشرق الى الغرب ، أم أن اليونانيين ارتجلوا طرائقهم العلمية ارتجالا دون أن يكون لها أو لبعضها أصل ترجع إليه فى الشرق ، فذهب الأستاذ جويدى الى أن النصوص الخاصة بسفر بعض أعلام اليونان الى الشرق لارتشاف علومه منتحلة ، كما ذهب الدكتور طه حسين الى أن الشعر الجاهلى منتحل ، والى أن مجنون ليلى شخصية لا وجود لها ، حتى أن الأستاذ المازنى كتب فصلا على لسان مستشرق جاء بعد مائة سنة ودرس حياة الدكتور طه حسين فتبين له أن اسم طه حسين وصف تارة بأنه شيخ وتارة بأنه دكتور وتارة كذا وتارة كذا ، واستدل ذلك المستشرق من هذا الاختلاف وهذه الألوان على أن طه حسين شخصية وهمية لم توجد ، كما استدل طه حسين على أن مجنون ليلى شخصية وهمية لم توجد ، وكما زعم هو وأمثاله أن عبد الله بن سبأ شخصية وهمية لم توجد ، وكما زعم بعض العلماء الأوربيين أن المسيح شخصية وهمية لم توجد ، وهكذا زعم السنيور جويدى أن النصوص الخاصة بسفر بعض أعلام

مكتبتنا العربية

اليونان الى الشرق لارتشاف علومه منتحلة ، وأن مصر وسائر بلاد الشرق القديم لم يكن لها فضل على العلوم والآداب والثقافات التى تنسب الى اليونان ، وكانت الأساس الذى يزعم الغرب أن علمه وثقافته قام عليه وحده . وقد كنت أنا وقتئذ أحد مستمعى صديقنا الأستاذ ميكائيل أنجلوجويدى فى هذه المحاضرات ، وصارحته بأن مثل هذه البحوث مما تتفاوت فيه الأنظار والأحكام ، وقديما قيل فى عين الرضا وعين السخط ما يصدق على كل ما يدخل فى موضوع الثقافة ، بينما العلم لا يختلف فى الحكم على حقائقه اثنان . وقد نشرت محاضرات الأستاذ جويدى وقتئذ فى رسالة ، وكتبت أنا مقدمتها وأشرت فى المقدمة الى هذا الاعتراض .

إذن لا بد لكل أمة تحررت من الاستعمار السياسى والعسكرى أن تتحرر من الاستعمار العقلى والثقافى بحزم واجتهاد عظيم ولو بالتدريج ، الى أن تكون لها ثقافة قومية مستقلة تستمدها من آدابها وتراثها العقلى والفكرى ، ولا أنكر أن هذا يحتاج الى زمن طويل ، ولكن يجب أن ترسم له الخطط من هذه الساعة ، وأن تعين له الاتجاهات ، وأن تبذل فى سبيله الجهود — بالتعاون مع الأقطار الشقيقة — لإحياء كل ما يساعد على ذلك من تركتنا الثقافية والأدبية ، واتخاذها أساسا نقيم عليه كيان تربيتنا العقلية والفكرية ، فيكون لنا لون خاص بنا نصبغ به ثقافتنا العصرية شيئا بعد شىء ، كما صنعت الهند وكما تصنع اسرائيل الآن فى الجامعة العبرية بالقدس مع فرق ما بين ثروتنا الثقافية الهائلة ، وتفاهة تراث اسرائيل الثقافى واللغوى والأدبى . فاذا ثابرنا على ذلك كثابرتهم وصبرنا عليه كصبرهم أنقذنا أبناء الجيل من هذه العبودية العقلية للغرب ، ووضعنا حدا لما توهمه مناهجنا الحاضرة ، وثقافتنا التى رسمها لنا الاستعمار وأعانه عليها طابوره الخامس ، من أننا أمة مفلسة ليس لها ثقافة قومية موروثة ، وليس لها أساس تقيم عليه كيانها الأدبى الجديد ، وان الاستمرار على هذا الاتجاه الذى رسمه لنا الاستعمار من أيام دانلوب ولا تزال نرقع فيه بأساليب فرنسية تارة وانجليزية تارة وأمريكية تارة أخرى ، فكان من ذلك ما وصفه جبران خليل جبران من التأثير على عقول المتعلمين ونفوسهم وقلوبهم ، فصاروا غير مؤمنين بكيانهم ومقوماتهم الخاصة التى يفترقون بها عن بقية الأمم كما تفترق بها الأمم بعضها عن بعض من شتى النواحى ، بل لعل هذا الاضطراب فى اتجاهاتنا الثقافية هو الذى ساعد على ظهور سخافات الوجودية وكفرها بالقانون والأخلاق وسائر ما وصفته لنا جريدة الجمهورية وأشرت اليه فى افتتاحية الجزء الماضى من مجلة الأزهر .

مكتبتنا العربية

وقد آن لى بعد هذه المقدمات أن أصارح كل من يقع نظره على هـذه الصفحات ، بأننا محتاجون إلى خطوة ثانية بعد الخطوة الأولى ، وأعنى بالخطوة الأولى الخلاص من الاحتلال السياسى والعسكرى ، أما الخطوة الثانية بعده فهى تعيين طريقنا الى ثقافة قومية عربية إسلامية نتعاون على بعثها ـ من الآن وفى عشرات السنين القادمة ـ مع كل من يشاركنا فيها من الشعوب العربية والأمم الإسلامية ، وأعود فأؤكد أن هذا لا يتم إلا بعمل تدريجى متواصل ، وتعاون وثيق متبادل ، وهذا هو الأساس الذى تقوم عليه وحـدة التعليم ، ومن الظلم تجاهل الخطوة التى خطاها الأزهر فى عشرات السنين الأخـيرة للتقرب نحـو وحدة التعليم بمـا أدخله فى مناهجه من مختلف العلوم ، فبقى أن تخطو المدارس العـامة والجامعات مثل هـذه الخطوة نحو الثقافة العربية والتراث الإسلامى ، وتربى فى طلبة الجمهورية جميعا ـ أزهريين وجامعيين ـ فـكرة تعلم العلم لأجل العلم لا لأجـل ثمرته من الوظائف ، فتـكون نية الاشتغال بالعلم من المهد إلى اللحد هى الغرض الأول من دخول الجامعات وكليات الأزهر ، ويمرن هؤلاء جميعا على الدراسات العربية والإسلامية السليمة تحقيقا لأمنية بعث الثقافة القومية اللائقة بالشرق العربى والإسلامى .

وقد تبين مما تقدم أن الضجة التى أثارها مؤلف « مستقبل الثقافة فى مصر » لم يثرها لنقص فى مناهج الأزهر من ناحية العلوم ، بل هو يريد من مصر ومن الأزهر ومن كل من ينتسب إلى العلم من الناطقين بالضاد أن يؤمنـوا بثقافة الغرب كإيمـانه هو بهـا منذ قال فى ص ٤١ من كتابه طبعة سـنة ١٩٤٤ : ان السبيل إلى ذلك « واحـدة فذة ليس لها تعدد ، وهى أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداد أو لنكون لهم شركاء فى الحضارة : خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، وما يحب منها وما يكره ، وما يحمد منها وما يعاب ، ومن زعم لنا غير ذلك فهو خادع أو مخدوع » .

وأنا أنادى بملء فمى معترفا بأنى أزعم لأمتى غير ذلك ، وأنصح لهـا بأن تأخـذ العلم كله ، لأنه تراث إنسانى شاركت فى تقدمه وتنميته أكثر أمم الأرض فى العصور القديمة ، ومنها مصر القديمة ، وان كره ذلك صديق الأستاذ جويدى وغـيره من المتعصبين الذين يريد مؤلف « مستقبل الثقافة فى مصر » أن نضحى بكياننا المعنوى لنذوب فى كيانهم . وشارك فى تقدم هذه العلوم وتنميتها فى العصور المتوسطة أمة واحدة هى أمتنا العربية والإسلامية ، ولولا أن الإسلام استعجم بغلبة غير العرب على قيادة دفة الشرق الإسلامى ،

مكتبتنا العربية

بل لولا انتصار شارل مارتل على عبد الرحمن الغافقي في وقعة تور Tours ، وأسباب أخرى غير ذلك ، لبقي زمام الحضارة الإنسانية في أيدينا ، ولتقدم سيرها ثمانية قرون بارشادنا و إشرافنا ، كما يعترف بذلك كلود فاريير وهنري دي شامبون ، بل يقول جبون في ص ٧ من الجزء الثاني من تاريخه : لو لم يصد شارل مارتل هجوم عبد الرحمن لكانت العربية هي لغة التدريس اليوم في جامعات انجلترا وألمانيا . وقال درابر : لقد وصل الطرف الواحد من الهلال العربي الى البوسفور ، ووصل الطرف الثاني الى إسبانيا ، وامتد إلى فرنسا ، وكان يهدد أوربا ببلوغ البدر التام فيمحو التمدن اللاتيني من الوجود ويغمر أوربا » .

إن أسلافنا ما بلغوا هذه المنزلة إلا بعد أن تركوا وراءهم تراثا من الثقافة نهلت منه أوربا المتعصبة خلسة وهي تتجاهله وتنكره ، وها قد استيقظنا الآن فأصبح من واجبنا وأسباب بعثنا وتجديد حياتنا أن نصل ما انقطع من تراثنا الثقافي ونبني عليه ، وأن نشارك أمم الأرض في كل ما وصلوا اليه من حقائق العلم واستثمارها في الإنتاج الصناعي والتقدم العمراني . ولن نصل ما انقطع من تراثنا الثقافي الا برسم خطة حازمة لأحيائه ودراسته وتوجيه مناهجنا به وتحبيبه الى أجيالنا الآتية من رجال المستقبل . ويومئذ يتخصص رجال منا لدراسة ثقافات الأمم الأخرى ومراقبة نشاطها والافادة من كل خير عندها رافضين بإباء وشمم كل ما فيها من شر ومكروه . ومعنى هذا أن تشمل الخطوة الثانية معاهد العلم جميعا من الأولى و الثانوي الى الجامعات ، ومنها الأزهر ومعاهده ، فيكون اتجاهنا الثقافي كله نحو هذا البعث العربي والاسلامي ولو كره ذلك دعاة حضارة الغرب «خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، وما يحب منها وما يكره ، وما يحمد فيها وما يعاب » .

وبعد فأن مصر لو فقدت عقلها وسارت وراء مؤلف « مستقبل الثقافة في مصر » لخسرت جميع أبنائها المثقفين ، كما خسرت و ياللأسف المسيو كلود طه حسين ناظم ديوان " e. le matin clair " الذي يتغنى فيه لأمينة بموسيقى نواقيس الكنيسة ، وذلك في القصيدة التي عنوانها " La Cathedrale Engloutie " وأظن أن مؤلف كتاب « مستقبل الثقافة في مصر » يتمنى لجميع أبناء مصر أن يكون كل واحد منهم «كلود طه حسين » . أما القائمون بالولاية على مصر فأن أبناء مصر أكرم عليهم من ذلك وأعز ، وهم يعلمون أن حياة مصر بالإسلام ، وقوتها بالتعاون مع العرب والمسلمين

محب الدين الخطيب

مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

— ٣٥ —

من أساليب التربيـــة

فسحة الوعد ، وتخفيف الوعيد

« إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما » .

قبل هذه الآية آيات أخرى نهى الله فيها عن أمور كثيرة ، منها : أكل المال بالباطل ، ثم جاء الوعيد فيها قاسيا ، والتهديد مزعجا ، إذ قال سبحانه : « ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا » ثم اقترنت بهذه الآيات آية الموضوع ، وفيها وعد كريم بأن الله تعالى قد ألزم نفسه لعباده أن يكفر عنهم سيئاتهم إذا اجتنبوا كبائر المنهيات ، وفى اقتران الوعد بالوعيد وسيلة ثقافية مجدية فى التربية الخلقية .

وبديهى أن الله ذو رحمة وعذاب ، وله عفو وعنده عقاب ، ومن حكمته فى تربية خلقه أن يطمعهم فى رحمته ، ويخيفهم من عذابه ، وأن يفتح أمامهم باب الأمل فى عفوه ، ويحذرهم شديد عقابه .

ليكون المرء دائما بين الرجاء والخوف ، فيظل ذاكرا ربه ذكر الطامع فى فضله وعطائه ، وذكر الخائف من غضبه وحسابه .

وذكر الله — على أى حال — أصل من أصول العبادة ، ووسيلة من وسائل القربى إليه .

وليس بعد الذكر بالرجاء أو الخوف إلا الغفلة والإعراض والجحود والتمرد ، وهذه منزلة غير تلك ، والذاكرون فريق ، والمعرضون فريق .

مكتبتنا العربية

ولكل وجهة هو موليها ـ سبحانه ـ ليكون فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير .

والقرآن غالبا يجمع بين الوعد والوعيد على وجه التعاقب أو التقارب ، لأن الجمع بينهما أو التقارب فى الذكر يستنهض الوعى الى التنبه ، ويذكى الفطنة الى اغتنام النصح ، ويصرف النفس عن مداعبة الهوى ، وينقذها من غمرة اللهو : ضرورة أن ذكر شيء مع ضده يكشف للذهن ما خفى عليه ، ويبرز له ما يجب وما لا يجب ، ثم يكون للمرء خيار .

ومن قبيل ذلك ، أن يقول قائل لمن دونه : إذا أطعتنى فيما أمرتك فلك تقديرى ، ولك كذا وكذا . . . وإذا أهملت دعوتى الى ما دعوتك فلست فى شيء من ثقتى ، وسأنزل بك من الهوان ما يسوءك ، ولا تحتمله .

ومعلوم أن للعبد ذنوبا تتفاوت صعوبة وهوانا بتفاوتها ضررا ومفسدة .

ومعلوم كذلك أن أحكام الله بينة فى شريعته ، لا إبهام فيما أمر ، ولا غموض فيما نهى ، بل بين المعروف والمنكر حدود ومعالم من كلام الله أو رسوله

والله ـ سبحانه ـ يكره من عباده أن يستخفوا بسلطانه ، ويتعدوا حدوده ، ويتهكوا محارمه ، فشدد فى الوعيد ، وهدد بقسوة العذاب الأليم لمن يشاقونه فى حكمه ، ويتعدون حدوده

ومع غيرته على حماه ، وزجره عن مقاربة حدوده ، فتح باب التوبة لمن زلت به القدم ، وعلمنا أن رحمته سبقت غضبه ، وأن عفوه أقرب من عقوبته ، بالنسبة لمن بادر الى رحابه ، واستغفره من ذنبه ، وأقلع عن المعاودة ، وهذا من دلائل العظمة الذاتية ، فأن العظمة لتبدو فى عفو ذى السلطان وهو صاحب القدرة

بل كان من تمام العظمة أن يلتزم لعباده تكفير سيئاتهم إذا اجتنبوا كبائر الإثم ، وذلك فى قوله : « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ، وندخلكم مدخلا كريما »

وهل هناك أمل أزكى من تكريم الله لمن كان مسيئا فى دنياه ؟ ؟

وهل هناك مطمع فوق دخوله الجنة ؟ ؟

ذلك وعد ربك ، وقد أكده وهو الصادق فيما يعد ، حين قال فى آية أخرى :

مكتبتنا العربية

« ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى : الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم ـ الصغائر ـ إن ربك واسع المغفرة » .

ولكن . . هل اجتناب الكبائر ـ كالقتل ، والزنى، والسرقة ، وإيقاظ الفتن حول الدين ، أو الوطن أو العرض ، وأكل الأموال بالباطل ـ يمحو جميع السيئات الصغيرة كالنظرة المحرمة ، والغيبة الخفيفة ، والطمع فى شىء تافه من حقوق الغير ؟ ؟

ظاهر الإطلاق فى الآية قد يفيد ذلك .

غير أن ابن عباس رضى الله عنهما يقول : . . . ولا صغيرة مع الأصرار ـ ومعنى هذا أن الصغيرة إذا كانت مع المداومة فهى كبيرة ، ولا تكون من المعفوات ، لأن المداومة على الصغيرة تعتبر استخفافا بنهى الله عنها ، واجتراء على دينه ، ولا تكون صغيرة إلا لمن أتاها غير مستهتر بالدين ، ولا مداوم عليها ، وإلا كان متجاوزا لحدود الله .

ويرى بعض المفسرين أن اجتناب الكبائر يمحو الصغائر على وجه التوزيع . . بمعنى أن ترك كبيرة الزنى يمحو صغيرتها كالقبلة ، وترك القتل يمحو التعذيب وهكذا، ولكن هذا الفهم تضييق ، ولا حرج على الله أن يعفو عن جميع السيئات لمن تجنب الكبائر كلها ، ولم يدأب على الصغائر

وبعد :

فقد يظن ظان أن اجتناب الكبائر كلها غير ميسور للناس ، فمن سلم من الفواحش قد لا يسلم من المظالم المالية، ومن لم يقع فى مظلمة قد لا يبرأ من مفسدة اجتماعية أخرى، ومن تعفف عن هذه المهازل قد يمالئ غيره على حرام ارتكبه فلم يمنعه ، ولم ينكر عليه، ثم كذلك صغائر السيئات : منذا الذى يحصيها ويحاول التخلى عنها : ونحن لا نسلم من غيبة للغير، ولا من اللمز فى آخرين ، وكثيرا ما نأتى أمورا لا نعرفها من الصغائر كالنقد لسوانا، والتعرض للموازنة بين الرجال فى غير تحرج من ذكر المساوئ ، وكالأخذ فى أحاديث البيوت ، والنيل من هذا وذاك ، وهذه وتلك ، فمن أين يكون للمرء خلاص من هذا كله حتى يكون مجتنبا للكبائر ، وغير مصر على الصغائر . . إن ذلك ليأس . . ومن خالجته تلك الشبهة فخليق به أن يثوب الى رشده، فأن الله لم يضيق واسعا

مكتبتنا العربية

وقد طلب منا تحاشي الكبائر ، وهذا شأن مقدور لمن خشي ربه ، فأن أبواب الحلال ممهدة ، وسبيل الطاعة مسلوكة ، وليس على المرء غير شيء من الخشية لله ، والترفع عن الدنس ، وقد سلكها كثيرون ولا يزالون جادين فى عمل مشكور وحياة بريئة . ومن سقط سقطة فليعالجها بالتوبة . أما الصغائر ـ وكثير ما هى ـ فعلاجها فى عدم الدأب عليها ، وبكثرة الاستغفار مما وقع منها ، والاستغفار يجعل الذنوب تتساقط كما يتساقط ورق الشجر فى عصف الرياح ، والله تعالى لايحب من عبده أن ييأس من رحمته ، فأن اليأس ذريعة الكفر .

وكل ما ينبغى : عدم الإسراف فى حسن الظن حتى لا تهون المعصية .

وعدم التساهل فى مجاوزة حدود الله ، فأن الله يقول : « ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين »

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

أربع كلمات

فيهن صلاح الملك ، واستقامة الرعية

خرج الزهرى يوما من عند هشام بن عبد الملك فقال :

ما رأيت كاليوم ولا سمعت كأربع كلمات تكلم بهن رجل عند أمير المؤمنين هشام ، دخل عليه فقال :

يا أمير المؤمنين ، احفظ عنى أربع كلمات فيهن صلاح ملكك ، واستقامة رعيتك .

قال : ما هن ؟ .

قال : لا تعد عدة لا تثق من نفسك بأنجازها . ولا يغرنك المرتقى وإن كان سهلا ، إذا كان المنحدر وعرا ، واعلم أن للأعمال جزاء فاتق العواقب ، وأن للأمور بغتات فكن على حذر .

قال الأديب الكبير عيسى بن دأب راوى هذا الحديث ، فحدثت بهذا الحديث أمير المؤمنين المهدى ، وفى يده لقمة قد رفعها إلى فيه ، فأمسكها وقال :

— ويحك ، أعد على !

فقلت يا أمير المؤمنين أسغ لقمتك

فقال : حديثك أحب إلى .

مكتبتنا العربية

وقد طلب منا تحاشي الكبائر ، وهذا شأن مقدور لمن خشي ربه ، فأن أبواب الحلال ممهدة ، وسبيل الطاعة مسلوكة ، وليس على المرء غير شيء من الخشية لله ، والترفع عن الدنس ، وقد سلكها كثيرون ولا يزالون جادين فى عمل مشكور وحياة بريئة . ومن سقط سقطة فليعالجها بالتوبة . أما الصغائر ـ وكثير ما هى ـ فعلاجها فى عدم الدأب عليها ، وبكثرة الاستغفار مما وقع منها ، والاستغفار يجعل الذنوب تتساقط كما يتساقط ورق الشجر فى عصف الرياح ، والله تعالى لايحب من عبده أن ييأس من رحمته ، فأن اليأس ذريعة الكفر .

وكل ما ينبغى : عدم الإسراف فى حسن الظن حتى لا تهون المعصية .

وعدم التساهل فى مجاوزة حدود الله ، فأن الله يقول : « ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين »

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

أربع كلمات

فيهن صلاح الملك ، واستقامة الرعية

خرج الزهرى يوما من عند هشام بن عبد الملك فقال :

ما رأيت كاليوم ولا سمعت كأربع كلمات تكلم بهن رجل عند أمير المؤمنين هشام ، دخل عليه فقال :

يا أمير المؤمنين ، احفظ عنى أربع كلمات فيهن صلاح ملكك ، واستقامة رعيتك .

قال : ما هن ؟ .

قال : لا تعد عدة لا تثق من نفسك بأنجازها . ولا يغرنك المرتقى وإن كان سهلا ، إذا كان المنحدر وعرا ، واعلم أن للأعمال جزاء فاتق العواقب ، وأن للأمور بغتات فكن على حذر .

قال الأديب الكبير عيسى بن دأب راوى هذا الحديث ، فحدثت بهذا الحديث أمير المؤمنين المهدى ، وفى يده لقمة قد رفعها إلى فيه ، فأمسكها وقال :

— ويحك ، أعد على !

فقلت يا أمير المؤمنين أسغ لقمتك

فقال : حديثك أحب إلى .

مكتبتنا العربية

السنة

خاتم النبيين

— ٢ —

الإسلام دين عام خالد ـ اتحاد الشرائع واختلافها ـ تطلع الإنسانية إلى النجاة ـ منقذها هو الخاتم ـ وفاة أبنائه فى حياته معجزة ورحمة ـ آيات بينات .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن مَثَلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون : هلا وُضعت هذه اللبنة ! قال : فأنا اللبنة ، وأنا خاتَم النبيين . رواه الشيخان ، واللفظ للبخارى .

* * *

فى جزء ربيع الأول ختمنا بهذا الحديث مقال السنة ، فى بيان أشهر أسمائه صلوات الله وسلامه عليه : محمد ، وأحمد ، والماحى ، والحاشر ، والعاقب .. وبينا على سبيل الإجمال أنه ـ بلا ريب ـ خاتم النبيين ، وآخر رسل الله أجمعين ، ثم وعدنا بأن نقفى على هذا الإجمال بمزيد من البيان والتفصيل :

* * *

الإسلام دين عام خالد :

قول حق ، لا يمترى فيه إلا من سفه نفسه ، وألغى رشده وحسه ، ودخل مختارا

مكتبتنا العربية

فى غمار الحمق والمجانين ، أو سقط محتارا فى شرك الأفاكين المارقين ، ولو أنه نظر قليلا بعين فطرته التى فطره الله عليها ، وآدميته التى كرمه الله بها ، فى هذا الدين القيم ، وما جاء به ومن جاء به ـ لازداد به إيمانا وهدى ، ثم كان به من الهداة الراشدين .

* * *

أرسله الله تعالى على فترة من الرسل ، وطموس من السبل ، وعبادة عمياء للأصنام والأشجار ، وجهالة جهلاء عمرت جميع القرى والأمصار ، برسالة عامة باقية ، وشريعة خالدة هادية ، قائمة على الآيات البينات ، ما قامت الأرض والسموات ؛ فكان ـ ولا يزال ـ رحمة للعالمين ، كما كانت شريعته ـ ولا تزال ـ هى النور المبين ، والمعتصم والملجأ إلى يوم الدين ، وليس بينها وبين الإيمان بها ، وبأنها لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، إلا نظرة صادقة فى تاريخ هذا النبى الكريم .

* * *

لقد بعث الله فى كل أمة رسولا بشريعة تلائمها وتصلح لها ، إلى أن ينتهى أجلها الذى قدره الله لها ، ولكل أمة أجل ، ولكل أجل كتاب .

تتحد هذه الشرائع فى أسسها وأصولها ، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه من بعث وجزاء ؛ وتختلف فى فروعها وأشكالها ، على حسب ما يلائمها من رشد وكمال . ولا مراء فى أن كل شريعة من شرائع النبيين السابقين كاملة بالنسبة إليه وإلى أمته ، وإن لم تكن كاملة كمالا مطلقا يلائم كل زمان ومكان الى يوم البعث والنشور ، فذلك الذى ختم الله به الشرائع ، وأتم به الرسالات ، واختص به من بعثه متمما لمكارم الأخلاق .

* * *

ولقد أشار الى هذه الشرائع فى اتحاد أصولها ، ذلك المثل البديع الرائع الذى ضربه صلوات الله وسلامه عليه ، اذ مثلها جميعها بقصر واحد منيف مونق ، يبنيه رجل واحد . فتوحيد القصر وبانيه إشارة الى اجتماع الرسل وشرائعهم على أصول واحدة . . كما أشار الى الفروع فى اختلاف أشكالها ، باللبنة التى بها تم للقصر بهاؤه ، وكمل حسنه ورواؤه .

مكتبتنا العربية

والى اتحاد الأصول فى الشرائع ، يشير قوله تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه » . والى اختلافها فى الفروع يشير قوله جل ثناؤه : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » (١) .

* * *

هكذا أرسل الله رسله تترى ، حتى اذا برمت الإنسانية بفسادها ، وضاقت ذرعا بغيها وسفهها ، وآن لذوى الفطر السليمة أن يبلغوا كمال رشدهم ، و يتسنموا ذروة مجدهم ، بعث الله صفوة أوليائه ، وخاتم أنبيائه ، بأكمل شرائعه ، وأوفى مناهجه ، ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، ومن الضلال الى الهدى ، وليناادى فيهم بلسان عربى مبين ، بأمر رب السموات ورب الأرض رب العالمين « قل يأيها الناس انى رسول الله إليكم جميعا . . . » ، « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » ، « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الإسلام دينا » .

* * *

شهادة من الله تعالى ـ وهو أكبر شيء شهادة ـ لعبده النبي الأمى ، محمد بن عبدالله ، عليه صلوات الله ـ بأن شريعته أزكى الشرائع وأوفاها ، وأصلحها لكل زمان ومكان ، و بأن دينه ناسخ لما سبقه من الأديان ، تصديقا لقوله عز سلطانه : « إن الدين عند الله الإسلام » « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

وشهادة بأنه صلوات الله عليه ، ليس أبا لأحد من رجال أمته ، ولكن رسول الله ، وخاتم أنبياء الله ، بنص قاطع ، و بيان صادع ساطع ، لا يدع ريبة لمرتاب ، ولاحيلة لمسرف كذاب . . فمن ادعى النبوة بعد هذا ـ ومن باب أولى الرسالة ـ فهو أفاك دجال ، ضال مضل ، عليه وعلى الظالمين لعنة الله « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله » .

* * *

وفى الشهادة الثانية يرد الله تعالى على من ينسب زيد بن حارثة اليه ، صلوات الله

---

(١) انظر حديث الصحيحين : الأنبياء اخوة لعلات . . . وقد شرحناه فى ج ٥ م ١٥

مكتبتنا العربية

عليه ، و يبين لهم أنه ليس أباه ، وان كان قد تبناه ، وكان رضى الله عنه يدعى على عادة العرب فى المتبنى : زيد بن محمد ، حتى نزلت الآية الكريمة : « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله » فدعى زيد بن حارثة . . . فى قصة طريفة ألممنا بها فى « حقوق الأكفياء »[١] .

* * *

والملم بالقدر الضرورى من سيرته صلى الله عليه وسلم ولو لم يكن من أمته ، يعلم أنه لم يعش له ولد ذكر حتى بلغ الحلم ، فقد ولد له صلوات الله عليه ثلاثة بنين : القاسم والطيب والطاهر ، من أم المؤمنين خديجة رضوان الله عليها ، وماتوا كلهم صغارا ! و ولد له ابراهيم من مارية القبطية رضى الله عنها ، ومات رضيعا .

وكان له من خديجة أربع بنات كلهن أدركن الإسلام وأسلمن وهاجرن معه : زينب ، و زوجها ابن خالتها أبا العاص بن الربيع ، ورقية وأم كلثوم ، وزوجهما ذا النورين عثمان بن عفان ، أخراهما بعد وفاة أختها . وكلهن توفين فى حياته ما عدا فاطمة الزهراء ، فانها أصيبت به ثم ماتت بعده لستة أشهر !

* * *

ونفى أبوته الصلبية الحسية ، لا ينافى أبوته الروحية المعنوية صلوات الله عليه ، فان الثانية أجل من الأولى . وهى ثابتة له على أحسن ما ينبغى لمقامه الكريم ، من المحبة والتكريم ، كما يشير الى ذلك حديث الصحيحين : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده و ولده والناس أجمعين .

* * *

وكأنه تعالى أراد ـ وهو الحكيم الخبير ـ أن يقبض أولاد نبيه فى حياته ، ليعلم أمته كيف يكون صبر الآباء فى موت الأبناء ، ثم ليعلموا أنه تعالى هو الذى رفع ذكر نبيه فى العالمين ، دون مساعدة من الآباء والبنين ، ولهذا شاء ـ جلت مشيئته ـ أن يكون يتيما ، ليكون لكل يتيم أبا رحيما ، وليكون فضل الله عليه عظيما .

---

(١) جزء ربيع الآخر ، مجلد ٢٤ عام ٧٢

مكتبتنا العربية

وأخرى بينه وبين أمته ، وهى ألا يمسهم أحد بسوء أو أذى ، أو يزعم أحد أن أبناءه من بعده هم ورثته فى نبوته أو رسالته ، أو أحق الناس ـ على الأقل ـ بخلافته ، فيكون فساد كبير ! وشر مستطير ! وانظر الى غلاة الشيعة وما زعموا لابن عمه على كرم الله وجهه ! ! فكيف لو عاش ابن له من صلبه صلوات الله عليه وسلامه ! ؟

ألا ان موت أبنائه قبل وفاته ، معجزة من معجزاته فى حياته ، ورحمة من الله على أمته بعد مماته .

* * *

أما بعد ، فأنه لو لم يدل الذكر الحكيم على أن محمدا صلوات الله عليه خاتم النبيين لدل على ذلك خلقه العظيم ، وهديه الكريم ، وما آتاه الله من آيات بينات لم يؤتها أحدا من العالمين ، فكيف وقد أنزل الله ذلك الختام نصا قاطعا ، يقطع دابر الدجاجلة الأفاكين ، ثم وكد هذا البيان صلوات الله وسلامه عليه بنصوص صريحة لا تقبل جدلا ولا تأويلا بأنه لا نبى بعده .. ولولا مخافة السآمة لسقنا بعض هذه الأحاديث الصريحة الصحيحة .. واذا فموعدنا الجزء التالى ان شاء الله ؛

ملا محمد الساكت

عفة مجاهد

روى الحافظ ابن عساكر أن حبيب بن مسلمة الفهرى (فاتح القفقاس) قدم على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى موسم الحج ، وكان حبيب تام القامة ، فسلم على عمر ، فقال له عمر :

إنك لفى قناة رجل !

فقال : اى والله ، وفى سنانها

فقال عمر : افتحوا له الخزائن ، فليأخذ ما شاء

ففتحوها له ، فعدا عن الأموال ، وأخذ السلاح

وحبيب بن مسلمة هو الذى أرسله معاوية على رأس كتيبة من أبطال الجيش إلى المدينة ليفك حصار البغاة عن دار أمير المؤمنين عثمان ذى النورين رضى الله عنه ، فلما كان فى نصف الطريق بين الشام والمدينة جاءته الأخبار بأن الخليفة صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حقق الله له ما وعده به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشهادة والجنة ، فعاد حبيب بكتيبته الى دمشق حزينا آسفا

مكتبتنا العربية

صور خالدة من صدر الاسلام

فى السنة التاسعة من الهجرة بلغ الرسول صلوات الله وسلامه عليه أن الروم تجهز وتعد العدة لغزوه فى بلاده ، لما نمى إليهم أن المسلمين يعانون ضيقا وشدة ، وأن أصلح الأوقات لغزوهم فى عقر دارهم هو هذا الوقت . فلم يرع النبى وصحابته هذا النبأ ، وأجمعوا أمرهم على أن يغزوا الروم فى بلادهم ليعلموهم أن القلوب المؤمنة لاينفذ إليها الخور والجبن عن لقاء الأعداء ، وأن سلطان الله فى الأرض لايرهب أحدا ، وأن من تسول له نفسه النيل من الإسلام فسيلقى جزاءه .

فندب الرسول أصحابه الى الخروج الى تبوك ، فأجابوا ، وكان ذلك فى زمان عسرة من الناس ، وشدة من الحر ، وجدب من البلاد ، وحين طابت الثمار ، والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الخروج فى الحال من الزمان الذى هم عليه .

* * *

وكان من عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج فى غزوة أن يورى بغيرها ، ولا يعلم الا الخاصة من أصحابه ، حتى لاتتسرب الأخبار الى الأعداء ، إلا فى هذه الغزوة ، فقد أعلمهم الرسول بقصده لبعد الشقة وشدة الزمان والاستعداد لعدو يفوقهم عددا وعدة ومالا ، واستنفر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين الذين حول المدينة من أحياء العرب فنفروا حتى اجتمع من ذلك قريب من ثلاثين ألفا ، وتخلف آخرون بغير عذر من المنافقين ومن على شاكلتهم ، فلامهم الله سبحانه أشد اللوم ، ووبخهم وقرعهم أشد التقريع ، وفضحهم أشد الفضيحة ، وأنزل فى شأنهم آيات كثيرة من سورة « براءة » مثل قوله سبحانه : « لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ، ولكن بعدت عليهم

مكتبتنا العربية

الشقة، وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم، يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون» الآية ٤٢ . وقوله : « ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا » الآية ٤٩ . وقوله سبحانه : « فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر ، قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون» الآية ٨١ .

لقد استجاب لنداء رسول الله هذه الألوف الكثيرة ، ولكن ما العمل ؟ .

المسير طويل، والحر شديد، والحال رقيق، والظهر قليل، والجيش على ما ترى من الكثرة، فلم يكن بد إذن من أن يقف البشير النذير خطيبا فيعظ الناس ، ويحث القادرين والموسرين على تجهيز هذا الجيش الذى عرف بجيش العسرة ، وما كان الكلام النبوى إلا برقا سرى فى النفوس المؤمنة المطمئنة ، فاهتزت القلوب وتحركت الأريحيات ، وسرعان ما جادت الأكف الندية بالخير الكثير : فهذا هو السيد الحيي عثمان بن عفان رضى الله عنه يجود بثلثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها [١] ومائة فرس ، ولا يقف جوده عند هذا الحد بل يأتى بألف دينار من حر ماله ويضعها أمام النبي صلوات الله وسلامه عليه ، فيقلبها النبي بيديه وهو ممتلئ غبطة وسرورا ويقول : « اللهم ارض عن عثمان ، فأنى راض عنه ، وما على عثمان ما عمل بعد اليوم» . روى الإمام أحمد بسنده عن عبد الرحمن بن سمرة قال : « جاء عثمان ابن عفان الى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار فى ثوبه حين جهز النبي صلى الله عليه وسلم جيش العسرة ، فصبها فى حجر النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعل النبي يقلبها بيده ويقول : « ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم » . وروى البيهقى بسنده عن عبد الرحمن السلمى قال : خطب النبي صلى الله عليه وسلم فحث على جيش العسرة ، فقال عثمان : « على مائة بعير بأحلاسها وأقتابها ، ثم نزل صلى الله عليه وسلم مرقاة من المنبر ثم حث ، فقال عثمان على مائة أخرى ، ثم حث مرة ثالثة ، فقال عثمان : على مائة ثالثة » .

* * *

وهذا هو الصديق أبو بكر ، يأتى بأربعة آلاف درهم هى كل ما تبقى له بعد أن أنفق جل ماله فى عتق الأرقاء ونصرة دعوة الإسلام ، فيقول الرسول : وماذا أبقيت لأولادك

---

(١) الحاس : كساء يجعل على ظهر البعير تحت رحله ، والقتب : الرحل الذى يركب عليه .

مكتبتنا العربية

يا أبا بكر ؟ فيجيب أبو بكر رضى الله عنه جواب المؤمن الواثق بالله : « أبقيت لهم الله ورسوله » .

وجاء الفاروق عمر بنصف ماله ، وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائتى أوقية (أى من الفضة) ، وجاء العباس بن عبد المطلب وطلحة بن عبيد الله بمال كثير ، وجادت نفس عاصم بن عدى بسبعين وسقا من تمر[١] ، وهكذا ينبغى أن يتسابق المتسابقون الى الإنفاق فى سبيل الله .

ولم تكن النساء المسلمات بأقل أريحية من الرجال ، فتصدقن بأقراطهن ، وما يملكن من حليهن ، وضربن بذلك مثلا عاليا فى البذل والسخاء ، يستهدى به من يأتى بعدهن من النساء .

ثم ما ذا ؟ لقد ضاق الظهر بالمسلمين فجاء سبعة نفر من الصحابة وهم حريصون على أن لا يفوتهم شرف الجهاد مع رسول الله وفى سبيل نصرة الإسلام ، ورغبوا إليه أن يوفر لهم الظهر الذى يركبون عليه فى هذه الغزوة التى بعدت فيها الشقة ، فيعتذر لهم الرسول ويقول : لا أجد ما أحملكم عليه ، فما كان منهم إلا أن تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما يركبون ، وقد أعذرهم الله سبحانه وسجل لهم هذا الموقف الخالد فى قرآن يتلى الى يوم الدين ، فقال : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ، ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون » [٢] .

وهناك تتحرك الأريحية الإسلامية مرة أخرى لهذا المشهد الرائع ، مشهد الدموع الغزيرة الصادقة التى تعبر عن القلوب الحزينة الآسفة ، أن فاتها الخروج مع المجاهدين فى سبيل الله ، فيجهز السيد الجليل عثمان اثنين ، والعباس بن عبد المطلب عم رسول الله اثنين ، وعمرو بن يامين اثنين . قال ابن اسحق : بلغنى أن ابن يامين بن عمير بن كعب النضرى لقى أبا ليلى وعبد الله بن مغفل وهما يبكيان فقال : ما يبكيكما ؟ قالا : جئنا رسول الله

---

(١) الوسق : ستون صاعا ، وهو ما يقرب من أردب مصرى .

(٢) سورة التوبة الآية ٩١ ، ٩٢

مكتبتنا العربية

صلى الله عليه وسلم ليحملنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه ، فأعطاهما ناضحا له فارتحلاه ، وزودهما شيئا من تمر ، فخرجا مع النبى صلى الله عليه وسلم .

* * *

ثم خرج الرسول بهذا الجيش الجرار الذى ضرب المثل الأعلى فى الإخاء والإيثار والتحمل والصبر على لأواء الصحراء وفيحها ومرارة الجوع وحرارة العطش ، وإنك لتتمثل عظم نفوس هؤلاء القوم وسمو أخلاقهم وشدة تحملهم إذا ما حدثتك عما لقيه هذا الجيش من مشقة ووصب ، قال الحسن : « كان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه ، يركب الرجل ساعة وينزل ثم يركب صاحبه كذلك ، وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير ، وكان النفر منهم يخرجون ما معهم إلا التمرات ، فأذا بلغ الجوع من أحدهم أخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ثم يعطيها صاحبه فيمصها ثم يشرب عليها جرعة من ماء كذلك حتى تأتى على آخرهم ولا يبقى من التمرة إلا النواة ، فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقهم ويقينهم » . وروى ابن جرير عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك فى قيظ شديد فنزلنا منزلا فأصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع ، وحتى أن كان الرجل ليذهب فيلتمس الماء فلا يرجع يظن أن رقبته ستنقطع ، وحتى أن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقى على كبده . فقال الصديق أبو بكر : يارسول الله ، إن الله عز وجل قد عودك فى الدعاء خيرا ، فادع لنا . فقال : تحب ذلك ؟ قال نعم . فرفع يديه فلم يرجعهما حتى سالت السماء فأهطلت ، ثم سكنت ، فملئوا ما معهم . ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر (١) » وهكذا تتدارك رحمة الله المجاهدين فى سبيله إذا ما أخلصوا النية وصدقوا ماعاهدوا الله عليه .

ولم يزل الجيش يغذ السير بين الفيح والجوع والعطش والجهد الجهيد حتى وصل الى تبوك ، فلم يجد للروم أثرا ، ولكن ثبت هيبة الإسلام فى الأرض ، فلم يلبث الأمراء المتاخمون للحدود الشمالية أن جاءوا للرسول معاهدين ومذعنين لدفع الجزية ، وبذلك أمن

---

(١) تفسير ابن كثير والبغوى جزء رابع ص ٢٥٧ ط المنار .

مكتبتنا العربية

المسلمون حدود الجزيرة الشمالية، وأرهبوا من تسول له نفسه الانتقاض على دولة الإسلام الناشئة الفتية .

* * *

وإن الإنسان ليمتلئ قلبه غبطة ونفسه إعجابا حينما يستمع الى الحديث عن هؤلاء السادة الذين بنوا أمة مثالية فى عقيدتها وعلمها وعملها وفى أخلاقها ، ولا يزال يتلمس الأسباب لهذه النهضة المباركة السريعة حتى يهتدى الى السر وهو الإيمان ، الإيمان بالله الحق ، والإيمان بدعوة الإسلام الحقة ، والإيمان بما أعده الله لعباده المصلحين من نعيم مقيم فى الآخرة ، وبهذا الإيمان يسمو المؤمن الحق حتى يرى أن السعادة فى رضاء الله ورسوله والدفاع عن دعوة الحق والخير والعدل .

* * *

أيها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها، بهذه العقيدة انتصر سلفكم المسلمون، وأذلوا الأكاسرة والقياصرة، وثبتوا سلطان الله فى الأرض ، وعلى هذه الأخلاق العالية أقاموا أمة الإسلام ، فهل لنا أن نقتدى بهم فى البذل والإنفاق فى سبيل الله وإرهاب أعداء الله أعداء الإسلام .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

إن الإسلام لا يشتكى من قلة المال ، فالمال ـ والحمد لله ـ كثير ، وإنما يشتكى من فقر النفوس المجدبة من المعانى الإسلامية السامية

إن فى المسلمين اليوم كثيرين ممن يقدرون على إعداد كتائب على نفقتهم الخاصة تدافع عن حوزة الإسلام والمسلمين ، وما ثروة السيد الحيي عثمان بجانب الثروات الموجودة اليوم إلا شيء ضئيل، ولكن عثمان كان يحمل قلبا مؤمنا ونفسا كبيرة عزا على كثير من الأثرياء الآن .

إن أهل الغرب قد سبقونا فى هذا المضمار ، مضمار البذل فى سبيل عز الدولة ، وأتوا بأمثال لا نجحدها حقها من التقدير ، وذلك بدافع من وطنيتهم ، فلماذا لا نكون نحن أولى بذلك بدافع من ديننا ووطنيتنا واقتداء بسلفنا الصالح ؟ ؟ ذلك ما نرجو ، والله الموفق والمعين ؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

مكتبتنا العربية

حديث «الغرور» فى القرآن

الغرور داء مهلك ، كم قصم من ظهور ، وكم أردى من رقاب ، وكم حفر من قبور - وهو أنواع وألوان ، فهناك الغرور بالعلم ، وهناك الغرور بالمال ، وهناك الغرور بالصحة والشباب ، وهناك الغرور بالمنصب والجاه ، وهناك الغرور بالأولاد والعشيرة . . .

ونحن بحاجة إلى تحذير أنفسنا وغيرنا من التعرض لمواطن الاغترار فضلا عن الإغراق فيه ، وإذا كانت الحياة تحتاج منا إلى أن نشجع الناشئين ، وأن نحرض القادرين ، وأن ندفع بالصالحين إلى خير الميادين ، فهذه الحياة تحتاج أيضا - لتكون طاهرة شريفة - إلى التحذير من بلوى الغرور ، والى ملطفات الاعتزار بالنفس والاغترار بالذات ، ولابد لكل منا من ساعات تذكار للتدبر والاعتبار ، يعرف فيها قيمة نفسه ، ويعرف فيها قيمة غيره ، ويسلك الطريق المعتدل المستقيم .

وقبل أن نعرض لحديث القرآن الكريم عن الغرور نعرض لحديث اللغة عنه ، فنرى القاموس المحيط يقول : « غره خدعه وأطمعه بالباطل فاغتره ، والغرور الدنيا وما يتغرغر به من الأدوية وما غرك ، أو يخص الشيطان ، وبالضم الأباطيل . . . وغرر بنفسه عرضها للهلكة ، والغرير والغر الشاب لا تجربة له ، والغار الغافل ، واغتر غفل [١] » ، وفى لسان العرب : « والغرور ما غرك من إنسان وشيطان وغيرهما . . والغرور ما اغتر به من متاع الدنيا [٢] » ، وفى أساس البلاغة : « وصبحهم الجيش وهم غارون أى غافلون ، ويقال : أغر من ظبى مقمر ، لأنه يخرج فى الليلة المقمرة يرى أنه النهار فتأكله السباع ، واغتره الأمر أتاه على غرة [٣] » . وفى مفردات القرآن : « يقال غررت فلانا إذا أصبت غرته ونلت منه ما أريده ، والغرة غفلة فى اليقظة ، والغرار غفلة مع غفوة . فالغرور كل ما يغر الإنسان من مال وجاه وشهوة وشيطان ، وقد فسر بالشيطان إذ هو أخبث الغارين ، وبالدنيا لما قيل : الدنيا تغر وتضر وتمر . . . [٤] » .

---

(١) القاموس المحيط ، ج٢ ص ١٠١

(٢) لسان العرب ، ج ٦ ص ٣١٥

(٣) أساس البلاغة ، ج ٢ ص ١٦٠

(٤) مفردات القرآن ، ص ٣٦٤

مكتبتنا العربية

ونلاحظ أن اللغة تريد بالغرور فى كثير من المواطن الغفلة ، وقد عنى الصوفية بمحاربة الغرور والغفلة والتنبيه على خطرهما ، فنرى أحمد بن أبى الحوارى يقول : « من لم يعرف نفسه فهو من دينه فى غرور » ، ويقول أبو سليمان الدارانى : «اذا سكن الخوف القلب أحرق الشهوات وطرد الغفلة من القلب » ، ويقول أبو على الثقفى : « الغفلة وسعت على الخلق الطرق فى معايشهم وأفعالهم ، والورع واليقظة ضيقت عليهم ذلك» ، ويقول ابن أبى الحوارى : « ما ابتلى الله عبدا بشىء أشد من الغفلة والقسوة » ، ويقول : « لا نوم أثقل من الغفلة ، ولا رق أملك من الشهوة ، ولولا ثقل الغفلة ما ظفرت بك الشهوة » ! .

وحينما نستعرض حديث القرآن المجيد عن الغرور نلاحظ بعض السمات العامة ، أولها أن الغرور ليس من شيمة المسلمين ولا من خلق المؤمنين ، بل هو شيمة المنافقين والكافرين ، وشيمة الضالين من اليهود والنصارى ، ومنها أن الاغترار عمل الشيطان الرجيم ومن هنالك سمى القرآن الشيطان « غرورا » كما سيجىء ، ومنها أن هذه الحياة الدنيا بلذاتها وشهواتها وآفاتها هى التى تسبب الغرور ، وتثير فى نفس الأغرار عنصر الاغترار ، فيضلون ويضلون . وما هذه الحياة إلا متاع قليل ضئيل زائل ، ولذلك وصفها التنزيل المجيد بأنها « متاع الغرور » وما الغرور إلا غفوة غافلة أو مكابرة ، لا يلبث صاحبها إلا قليلا ثم يستفيق فاذا اللواذع والفواجع ، واذا الغصة بعد فوات الفرصة ، واذا أليم الفكرة بعد عاجل السكرة .

ومن السمات فى حديث القرآن الكريم عن الغرور النعى على الإنسان المغتر بكرم الله وحلمه ، أو المغتر بدنياه ، مع النهى عن الاغترار بسلطان الغير ، إذ كل سلطان — مهما كان جليلا — لاثبات له ولا كيان أمام سلطان القاهر الديان .

يقول الله تبارك وتعالى : « فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين [١] » ، والحديث عن آدم وحواء اذ جاءهما الشيطان اللعين فنزلهما الى الأكل من الشجرة ، وخدعهما بأن أقسم لهما بالله انه من الناصحين ،

---

(١) سورة الأعراف آية ٢٢

مكتبتنا العربية

فأوقعهما فى الهلاك . قيل : وقد يخدع المؤمن بالله ، ولذلك كان بعض العلماء يقول : من خادعنا بالله خدعنا [١] ، وهنا نرى كيف قام الشيطان بدور الخداع والتغرير فبرع فى التضليل والتخسير .

و يقول عز من قائل : «يعدهم و يمنيهم وما يعدهم الشيطان إلاغرورا . أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا»(٢) . أى ان الشيطان يعد أولياءه بأنهم هم الفائزون فى الدنيا والآخرة ، وقد كذب وافترى فى ذلك ، إذ هو يعدهم بأباطيله وترهاته من المال والجاه والرياسة ، وأن لا بعث ولا عقاب . قال ابن عرفة : الغرور ما رأيت له ظاهرا تحبه وفيه باطن مكروه أو مجهول . والشيطان غرور لأنه يحمل على محاب النفس ووراء ذلك ما يسوء . ومن هذا بيع الغرر ، وهو ما كان له ظاهر بيع بغر و باطن مجهول [٣] .

و يقول تبارك وتعالى : « واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا » [٤] . والخطاب للشيطان ، أى استزلهم واستخفهم بصوتك ـ وصوته كل داع الى المعصية ـ واجمع عليهم كل ما تستطيع من مكايدك ، واجعل لنفسك شركة فى أموالهم وأولادهم ، واخدعهم بالأمانى الكاذبة ، فأنت لا تعدهم الا باطلا وزورا .

وقال سبحانه : « يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم ، قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ، ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور » [٥] .

أى فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصى والشهوات ، وتربصتم بالحق وأهله ، أو أخرتم التوبة من وقت الى وقت ، وارتبتم بالبعث وشككتم فيه ، وغرتكم الأمانى أى قلتم

---

(١) تفسير القرطبي ، ج ٧ ص ١٨٠ (٢) سورة النساء ، آية ١٢٠ و ١٢١

(٣) القرطبي ، ج ٤ ص ٣٠٢ (٤) سورة الإسراء آية ٦٤

(٥) سورة الحديد ، آية ١٣ و ١٤

مكتبتنا العربية

سيغفر لنا ، أو غرتكم الدنيا حتى جاءكم الموت ، وغركم بالله الغرور وهو الشيطان حتى قذفكم فى النار [١] .

قال بعض العلماء : ان للباقى بالماضى معتبرا ، وللآخر بالأول مزدجرا ، والسعيد من لا يغتر بالطمع ، ولا يركن الى الخدع ، ومن ذكر المنية نسى الأمنية ، ومن أطال الأمل نسى العمل ، وغفل عن الأجل .

وقريب مما سبق قوله سبحانه : « أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا فى غرور » [٢] . أى ما الكافرون الا فى غرور من الشياطين ، تغرهم وتخدعهم حين توهمهم بأنه لا بعث ولا حساب ، وأنه لا ثواب ولا عقاب

وقد رأينا فى الآيات السابقة أن الغرور قد نسب الى الشيطان ، فهو صفة له ، وهو يحاول بثه فى سواه ، وهو بخبثه يعمل على التغرير بطوائف من الخلق فيهلكهم ويرديهم ، ويسوقهم الى شر المعاطب ، ولذلك حذر الله عباده من ذلك الغرور فقال فى سورة فاطر : « يأيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور » [٣]

ويقول الله تعالى : « قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه ، بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا » أى انما اتبعوا فى ذلك أهواءهم وآراءهم وأمانيهم التى يمنونها لأنفسهم ، وهى غرور وباطل وزور ، والغرور هنا مطلق على المشركين الظالمين . وقريب من هذا قوله تعالى : « يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين » [٤] ، قيل ان هذا الخطاب يكون يوم الحشر . والمعنى أن هؤلاء الكفار قد خدعتهم هذه الحياة العاجلة ، وظنوا أنها تدوم ، فاغتروا ثم اعترفوا بكفرهم ، قال مقاتل : هذا حين شهدت عليهم الجوارح بالشرك [٥]

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٠٩ (٢) سورة الملك ، آيه ٢٠
(٣) سورة فاطر ، آية ٥ (٤) سورة الأنعام ، آية ١٣٠
(٥) تفسير القرطبى ج ٧ ص ٨٧

مكتبتنا العربية

وقال تعالى : « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ، ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون » [١] وهذا الزخرف عبارة عما يوسوس به شياطين الجن الى شياطين الإنس ، وسمي وحيا لأنه انما يكون خفية . وقد ورد أن شيطان الإنس شر من شيطان الجن ، وقال مالك بن دينار : إن شيطان الإنس أشد على من شيطان الجن ، ذلك أني اذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن ، وشيطان الإنس يجيئني فيجرني الى المعاصي عيانا [٢]

وهنا تشترك شياطين الجن وشياطين الإنس ـ وهم الضالون المضلون منهم ـ في الغرور والاغترار والتغرير

وقال تعالى : « ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ، ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون » [٣] ، هذا عن اليهود والنصارى الذين يتظاهرون بالتمسك بالتوراة والإنجيل . ومع ذلك لا يقبلون التحاكم اليهما ، وقد غرهم في دينهم وخدعهم ما خدعوا به أنفسهم من زعمهم أن النار لا تمسهم بذنوبهم الا أياما قليلة معدودة ، وهم الذين افتروا هذا من تلقاء أنفسهم ، ولم ينزل الله به سلطانا

وبعد أن رأينا نسبة الغرور الى الشيطان والى المنافقين والمشركين ، والى شياطين الإنس الملاعين ، والى الفاسقين من اليهود والنصارى ، نرى نسبته الى الحياة الخادعة الزائفة ، فيقول القرآن عن الكافرين : « الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا ، فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون » ، وفي سورة الأنعام يقول : « وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا » ويعود في سورة الحديد فيقول : « اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ، ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور [٥] »

---

(١) سورة الأنعام ، آية ١١٢ (٢) تفسير القرطبي ، ج ٧ ص ٦٧ و ٦٨

(٣) سورة آل عمران ، آية ٢٣ و ٢٤ (٤) سورة الأعراف ، آية ٥١

(٥) سورة الحديد ، آية ٢٠

مكتبتنا العربية

أى هى متاع حقير صغير فان ، يغر من يركن اليه مع أنها حقيرة قليلة بالنسبة الى الدار الآخرة ، وفى الحديث : « لموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها » ، وفى التنزيل : « بل تؤثرون الحياة الدنيا ، والآخرة خير وأبقى » ، ويقول قتادة : هى متاع متروكة أوشكت والله الذى لا اله الا هو أن تضمحل عن أهلها ، فخذوا من هذا المتاع طاعة الله ان استطعتم ، ولا قوة الا بالله . وعن سعيد بن جبير : انما هذا لمن آثرها على الآخرة ، فأما من طلب الآخرة بها فأنها متاع بلا غرور

ويقول تبارك وتعالى فى سورة الانفطار : « يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم » . قال ابن عمر وغيره : غره والله جهله . وقال قتادة : ماغر ابن آدم غير هذا العدو الشيطان . وقال بعض أهل الإشارة : إنما قال (بربك الكريم) دون سائر أسمائه وصفاته كأنه لقنه الإجابة ، وهذا الذى تخيله هذا القائل ليس بطائل ، لأنه إنما أتى باسمه الكريم لينبه على أنه لا ينبغى أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة وأعمال الفجور (١) » . وفى هذا توبيخ وتبكيت للعبد الذى يأمن مكر الله ولا يخافه .

ويخاطب الله نبيه بقوله فى آل عمران : « لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد ، متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد » . أى لا تتطلع إلى ما يتقلب فيه هؤلاء الكافرون من النعمة والغبطة ، فما قليل يزول هذا كله عنهم ، ويصبحون بلاشىء ، ثم يؤخذون بأعمالهم السيئة ، ونحن نمهلهم ولا نهملهم ، وما هذا الذى فى أيديهم إلاشىء حقير قليل ، ولهم من ورائه جهنم ، وهى أسوأ مستقر ومصير . وفى الحديث : « ما الدنيا فى الآخرة إلا كما يجعل أحدكم إصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع » .

وقريب من هذا قوله فى سورة المؤمن : « مايجادل فى آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم فى البلاد » .

هذا ماتيسر من استعراض لحديث القرآن الكريم عن الغرور والمغترين ، وهو حديث — كما ترى — يوحى بالاحتياط والحذر ، ويوصى بالابتعاد عن مواطن الغرور وأسباب الاغترار ، ويحذر من صحبة الغارين الخادعين ، جنبنا الله آفة الغرور ، وجملنا بفضيلة التواضع والذكرى ، وباعد بيننا وبين المغترين والغافلين ، إنه نعم المعين . ٨

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

(١) تفسير ابن كثير ، ج ٤ ص ٤٨١

مكتبتنا العربية

من نوادر المخطوطات

توجيه اللمع لابن الخباز

من أئمة المتقدمين فى علوم اللغة والنحو والصرف العلامة ابن جنى . ويكفى أن يقال : إنه صاحب الخصائص ، فيستحضر العلماء شخصيته العلمية الباحثة الذواقة النافذة الى أعماق البحث الفلسفى فى قواعد النحو والصرف وشخصيته الأدبية التى ألمت بأطراف الأدب المصفى ، فكانت كتبه العلمية أشبه بالدواوين فى غرائب الشعر العربى .

ولابن جنى جملة من الكتب فى اللغة والنحو والصرف عرف أكثرها واشتهر بعضها . ومما اشتهر من كتبه (الخصائص) ، ومما عرف له (اللمع) فى النحو ، وقد جمعه من كلام شيخه أبى على الفارسى واختصر فيه قواعد النحو اختصارا شديدا كما يؤخذ من اسم الكتاب ، فاسم الكتاب (اللمع) وهى جمع لمعة ، ومن معانى اللمعة الإشارة باليد ، فكلام ابن جنى فى اللمع عن قواعد النحو إشارات موجزة ذات احتمالات كثيرة ، لذا اضطر العلماء من بعده الى توضيحها والكشف عنها وتحديد المراد منها ، فشرحها بعضهم شرحا مطولا ، وشرحها بعضهم شرحا موجزا . وممن تصدى لذلك العلامة ابن الخباز فشرحه شرحا متوسطا لاهو بالكبير الممل ولاهو بالقصير المخل كما قال : «فضمنت لهم إملاء مختصرا أقتصر به على توجيه مسائله وتبايغ وسائله ، وقد سميته (توجيه اللمع) ، وعالت فيه المسائل جمع »

فشرح ابن الخباز أو إملاؤه على اللمع ليس كما يفهم العلماء من معنى كلمة الشرح الذى يحاول فيه الشارح الجمع والاستطراد ، وإنما هو الشرح الذى يكتفى فيه بالتوجيه والكشف عن عبارات اللمع .

ولهذا الشرح مزايا ، أولها اختصار العبارة والاقتصار على المطلوب ، ثانيها وضوح أسلوبه العلمى وضوحا لايوجد فى كثير من أساليب المتقدمين فى علم النحو ، ثالثها كثرة الاستشهاد بالشعر العربى حتى لا تكاد تخلو قاعدة منه من الاستشهاد به ، رابعها إعراب الغامض من الشواهد والكشف عن غريب اللغة فيها

مكتبتنا العربية

ومن الغريب أن ابن الخباز أملى هـذا الشرح ولم يأخذ فيـه عن كتاب كما يقول : « ولم أستعن فى مدة إملائه عليه بمطالعة كتاب ، وقد أودعته نبذا ممـا رويته عن شيخى مجد الدين بن أبى حفص عمران بن أحمد بن أبى بكر بن مهران »

وابن الخباز لا يذكر عبارة اللمع كلها ، وإنمـا يقتصر على ما يريد بيانه وتوجيهه منها ، وإنا لنقتبس من الـكتاب ما يوضح ما ذكرنا ، قال فى خطبته :

« أحمد الله على توفيقه وتسديده ومنه علينا بأن جعلنا من أهل توحيـده ، وأسأله من فضله الجزيل أبلغ مزيده ، وأصلى على نبيه محمد الصادق فى وعوده ، والناطق بجامع الكلم وسـديده . . . صلاة دائمـة ما تلفع عارض ببروده ، واختال بين بروقه ورعوده ، أما بعد : فأن جماعة من حفظة كتاب اللمع لابن جنى أطمعهم فيه صغر حجمه ، وآيسهم منه عدم فهمه . . . لأن الـكتب المصنوعة لتفسـيره ، منها الـكبير الممل ، ومنها الصغير المخل ، فضمنت لهم إملاء مختصرا . . . وكلما مررت ببيت ذكرت إعرابه ، أو بلفظ لغوى حليته تحلية تزيل استغرابه .

وقال فى باب المعرفة والنكرة : « المعرفة والنكرة فى الأصل مصدران يقال : عرفت الشىء أعرفه معرفة وعرفانا ، وأنكرت الشىء إنكارا ، قال الأعشى :

وأنكرتنى وما كان الذى نكرت ... من الحوادث إلا الشيب والصلعا

ويقال : إن أبا عمرو وضع هـذا البيت ، وعلى كل حال يستشهد به لأن أبا عمرو لا يتقاعد عن الحسين بن مطير الأسـدى الذى كان فى زمان المهدى . فنقل النحويون المعرفة والنـكرة وسموا بهما نوعى الأسماء ، والأصـل النـكرة ولذلك بدأ بها ، وكانت الأصل لوجهين :

أحدهما : أنك لا تجد معرفة إلا وله اسم نكرة ، وتجد كثيرا من النكرات لا معرفة له ، والمستقل أولى أن يكون أصلا من المحتاج

الثانى : أن الشىء منذ اول وجوده تلزمه الأسماء العامة ثم تعرض له بعد ذلك الأسماء الخاصة . ألا ترى أن الآدمى اذا ولد سمى ذكرا أو أنثى وانسانا ومولودا ورضيعا وشيئا وموجودا ، وهـذه الأسمـاء مشتركة المعـانى ، ثم يعرض بعد ذلك اللقب والـكنية ، والاسم كعبد الله وأبى عمرو وبطة . وقد اختلفت عبارات النحويين فى حـد النـكرة ،

مكتبتنا العربية

وهى راجعة الى معنى واحد ، قال أبو الفتح : « النكرة ما لم يخص الواحد من جنسه » وقال غيره : « النكرة ما دل على شيء لا بعينه »

واعلم أنه لا يشترط فى النكرة كثرة المعانى الموجودة تحتها بل العبرة أن يكون وضعها على الاشتراك ، ألا ترى أن شمسا وقمرا نكرتان وان لم يكن الا شمس واحدة وقمر واحد . ويدلك على أنهما نكرتان دخول اللام عليهما ، فان قلت : فقد جمعت الشمس والقمر ، قال الأشتر النخعى :

حمى الحديد عليهم فكأنه ومضات برق أو شعاع شموس

وقال الراجز :

وجوههم كأنها أقمار

ففى ذلك جوابان : أحدهما أن الشمس والقمر يتجددان ، فالشمس فى كل يوم ، والقمر فى كل شهر ، فجمعهما نظرا الى هذا ، ألا ترى أنك تقول شمس اليوم أحر من شمس أمس ، والثانى أن الجمع على تسمية الضوءين باسم النيرين وأضواؤهما كثيرة الخ »

هذا . ومن الغريب أن السيوطى فى بغية الوعاة لم يشر فى ترجمته لابن الخباز الى هذا الكتاب ، كما أن حاجى خليفة صاحب كشف الظنون أشار اليه اشارة موجزة فقال : توجيه اللمع فى النحو ولم يزد على ذلك . وابن الخباز هو أحمد بن الحسين بن أحمد بن معالى ابن منصور بن على الشيخ شمس الدين بن الخباز الأربلى النحوى الضرير . كان علامة زمانه فى النحو واللغة والفقه والعروض ، وله مصنفات مفيدة منها شرح ألفية ابن معطى والنهاية فى النحو ، مات بالموصل سنة ٦٣٧ ، و بالمكتبة الأزهرية نسخة من كتاب توجيه اللمع من أقدم النسخ ، فقد فرغ من نسخها سنة ٧٨٦ ، وخطها حسن بالنسبة لخطوط عصرها ، وأكثر كلماتها مشكول ، وببعض أوراقها رطوبة وتقطيع ذهب ببعض كلماتها ، وتقع فى ٢٠٨ ورقة ، وسطورها بين ٢٢ و ٢٣ سطرا ، وان هذا الكتاب جدير بالنشر ، ويسد فراغا بين كتب النحو ، واحياؤه احياء لكتب السلف التى خلت من الحشو والتطويل ، وهدفت الى المقصود من غير تزيد ولا استطراد ، وعسى أن يجد بين المهتمين بأحياء تراثنا القديم من يعنى بنشره ما

أبو الوفا المراغى

مكتبتنا العربية

وجوب التصحيح

فى متن حديث صحيح

أخرجه الشيخان فى صحيحيهما والإمام أحمد فى مسنده

أخرج الإمام البخارى فى صحيحه فى : ٨٥ ـ كتاب الفرائض ، ٢١ ـ باب إثم من تبرأ من مواليه :

حدثنا قتيبة بن سعيد . حدثنا جرير عن الأعمش عن ابراهيم التيمى عن أبيه قال : قال على رضى الله عنه : ما عندنا كتاب نقرؤه إلا كتاب الله ، غير هذه الصحيفة . قال : فأخرجها فأذا فيها أشياء من الجراحات وأسنان الإبل . قال وفيها « المدينة حرم ما بين عير إلى ثور : فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل » الخ .

وأخرج الإمام مسلم فى صحيحه فى : ١٥ ـ كتاب الحج ، ٨٥ ـ باب فضل المدينة الحديث ٤٦٧ :

وحدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وزهير بن حرب وأبو كريب جميعا عن أبى معاوية . قال أبو كريب : حدثنا أبو معاوية . حدثنا الأعمش عن ابراهيم التيمى عن أبيه قال : خطبنا على بن أبى طالب فقال : من زعم أن عندنا شيئا نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة ، قال وصحيفة معلقة فى قراب سيفه) فقد كذب . فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات ، وفيها قال النبى صلى الله عليه وسلم : « المدينة حرم ما بين عير إلى ثور : فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا » الخ

وفى : ٢٠ ـ كتاب العتق ، ٤ ـ باب تحريم تولى العتيق غير مواليه ، حديث ٢٠ : وحدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش عن أبراهيم التيمى عن أبيه

مكتبتنا العربية

قال : خطبنا على بن أبي طالب فقال : من زعم أن عندنا شيئا نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة (قال وصحيفة معلقة فى قراب سيفه) فقد كذب . فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات ، وفيها : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « المدينة حرم ما بين عير إلى ثور : فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا الخ .

وأخرج أبو داود فى سننه فى : ١١ ـ كتاب المناسك . ٩٦ ـ باب فى تحريم المدينة حديث ٢٠٣٤ :

حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم التيمى عن أبيه ، عن على رضى الله عنه قال : ما كتبنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا القرآن ، وما فى هذه الصحيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المدينة حرام ما بين عائر إلى ثور ، فمن أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه عدل ولا صرف » الخ .

وأخرج الإمام أحمد فى مسنده جزء أول ص ٨١ (طبعة الحلبي) الحديث رقم ٦١٥ طبعة المعارف :

حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش عن ابراهيم التيمى عن أبيه قال : خطبنا على فقال : من زعم أن عندنا شيئا نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة ـ صحيفة فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات ـ فقد كذب ، قال وفيها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المدينة حرم ما بين عير الى ثور ، فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة عدلا ولا صرفا » الخ .

وفيه جزء أول ص ١٢٦ (طبعة الحلبي) حديث رقم ١٠٣٧ طبعة المعارف :

حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن الأعمش عن ابراهيم التيمى عن أبيه عن على قال : ماعندنا شيء إلا كتاب الله تعالى وهذه الصحيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم « المدينة حرم ما بين عائر الى ثور ، من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه عدل ولا صرف » الخ

وفيه جزء أول ص ١٥١ (طبعة الحلبي) حديث رقم ١٢٩٧ طبعة المعارف :

حدثنا محمد بن جعفر . حدثنا شعبة عن سليمان عن ابراهيم التيمى عن الحارث بن سويد قال : قال على : إن رسولكم كان يخصكم بشيء دون الناس عامة ؟ قال : ما خصنا رسول الله

مكتبتنا العربية

صلى الله عليه وسلم بشيء لم يخص به الناس ، إلا بشيء فى قراب سيفى هذا ، فأخرج صحيفة فيها شيء من أسنان الإبل ، وفيها « ان المدينة حرم ما بين ثور الى عائر ، من أحدث فيها حدثا أو آوى فيها محدثا فأن عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل » الخ .

هذه هى المتون الصحيحة لهذا الحديث الصحيح ، وقد بينا فى مقالنا السابق (١) صحة وجود جبل عير وثور بالمدينة بما نقلناه عن أئمتنا القدماء وعن مؤرخينا المعاصرين .

ومن اليقين أن هذا اللفظ هو اللفظ النبوى الذى حافظ عليه الصحابى ثم التابعى ثم من رواه عنه الى البخارى ومسلم وأبى داود والإمام أحمد .

ولكن يظهر أن بعض الرواة شككه فى متن الحديث ما تقحمه من الخطأ الشنيع مصعب بن الزبير ومن قلده بغير روية .

وتوهم وقوع الخطأ فى المتن ، دون أن يبحث هو أيضا ويدقق ، فتحاشى فى روايته ذكر ثور أو ذكر عير وثور معا ، كما جاء فى هذه الأحاديث التى ينبغى تصحيح الخطأ فيها ورواياتها على الصواب حسبما تقدم ، وهذه هى :

أخرج الإمام البخارى فى صحيحه فى : ٢٩ — كتاب فضائل المدينة ، ١ — باب حرم المدينة :

حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم التيمى عن أبيه عن على رضى الله عنه قال : ما عندنا شيء إلا كتاب الله وهذه الصحيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم « المدينة حرم ما بين عائر الى كذا الخ » .

وفى ٥٨ — كتاب الجزية ١٠ — باب ذمة المسلمين واحدة وجوارهم واحدة يسعى بها أدناهم : حدثنى محمد ، أخبرنا وكيع عن الأعمش عن ابراهيم التيمى عن أبيه قال : خطبنا على فقال : ما عندنا كتاب نقرؤه إلا كتاب الله وما فى هذه الصحيفة ، فقال : فيها الجراحات وأسنان الإبل ، والمدينة حرم ما بين عير الى كذا » الخ

وفيه ١٧ — باب إثم من عاهد ثم غدر

حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم التيمى عن أبيه عن على

(١) جزء صفر ١٣٧٥ ص ١٨٦ — ١٩٠

مكتبتنا العربية

رضى الله عنه قال : ما كتبنا عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا القرآن، وما فى هذه الصحيفة، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « المدينة حرام ما بين عائر الى كذا الخ » .

وفى : ٩٦ ـ كتاب الاعتصام ، ٥ ـ باب ما يكره من التعمق والتنازع فى العلم والغلو فى الدين والبدع :

حدثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبى، حدثنا الأعمش، حدثنى إبرهيم التيمى، حدثنى أبى قال : خطبنا على رضى الله عنه على منبر من آجر ، وعليه سيف فيه صحيفة معلقة ، فقال : والله ، ما عندنا من كتاب يقرأ إلا كتاب الله ، وما فى هذه الصحيفة . فنشرها فاذا فيها : أسنان الإبل ، و إذا فيها : المدينة حرم من عير إلى كذا الخ .

وأخرج الإمام مسلم فى صحيحه فى : ١٥ ـ كتاب الحج ، ٨٥ ـ باب حرم المدينة ، الحديث ٤٣٦ .

وحدثناه حامد بن عمر، حدثنا عبد الواحد ، حدثنا عاصم . قال : قلت لأنس ابن مالك : أحرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ؟ قال : نعم، ما بين كذا إلى كذا . . .

وأخرج الإمام أحمد فى مسنده جزء ثالث ص ٢٣٨ (طبعة الحلبى)

حدثنا عبد الله ، حدثنى أبى ، حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم الأحول عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : المدينة حرام من لدن كذا إلى كذا الخ .

وفيه ص ٢٤٢ :

حدثنا عبد الله ، حدثنى أبى ، حدثنا مؤمل ، حدثنا حماد عن حميد ، وعاصم الأحول عن أنس ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : المدينة حرام من كذا إلى كذا . . . الخ .

والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسول الله وخاتم النبيين ﷺ

محمد فؤاد عبد الباقى

مكتبتنا العربية

نماذج يقدمها الاسلام :

نظام الملك الطوسى

الوزير العالم المصلح الشهير

اكتملت فى الوزير نظام الملك الطوسى مواهب عديدة، فهو ـ أولا ـ عالم بارع تفقه فى الشريعة الإسلامية ، والحديث النبوى ، ودرس اللغة والأدب ، ولم يكن اطلاعه محدودا يقتصر على المطارحة والمشاركة ، بل عمد إلى اللباب الدسم من مختلف العلوم فاكتنه سره ، وكشف غامضه، وحسبك أنه تصدر للتدريس فى حلقاته العامرة، فنوقش وجودل ، وأظهره الحوار على حقيقته عالما أصيلا يحمل برهانه ، ويملك إقناع معارضيه ، وهو ـ ثانيا ـ إدارى حازم نظم شئون الملك، وجهز الجيوش الغازية، ورسم الخطط الموفقة، وأعد المؤن والذخائر ، وجعل لسلطانه هيبة مرهوبة ، فأمره نافذ مسموع ، وأعداؤه ينكمشون ويتضاءلون مشفقين من صرامته وسعة حيلته ، مع ما لديه من عتاد ساعق ، وبأس رهيب ، وهو ـ ثالثا ـ مصلح كبير قضى على الاختلافات المذهبية بين الطوائف الإسلامية ، وأكثر من المدارس النظامية ، ودعا إلى الوحدة المتماسكة بين المسلمين فى عصر تنوعت فيه الفرق ، وتعددت الخلافة من عباسية وعبيدية وأندلسية ! ! وبجهوده الممتازة رجعت للدين مكانته فى القلوب ، وللسلطان هيبته فى النفوس ! !

كان أبو الحسن بن إسحاق بن العباس الطوسى من أبناء الدهاقين ، وقد توفيت أمه وهو رضيع ، فلاقى والده مشقة فى تربيته وحضانته إذ كان يطوف به على المرضعات ، ويسهر طيلة ليله فى قضاء حوائجه ، وما ان شب عن الطوق حتى دفع به إلى معلم مخلص يثقفه ويهذبه ، فحفظ القرآن الكريم، وتفقه فى الحديث الشريف، وشارك فى علوم عصره، وكانت المعرفة لعهده مختلفة الينابيع متنوعة الجداول ، فأخذ من كل فن بطرف ، وأخلص إخلاصا حميدا فى التحصيل حتى تألق نجمه ، وذاع صيته، فاتصل بخدمة على بن شاذان،

مكتبتنا العربية

وأظهر لديه كفاية تامة وخبرة واعية وخلقا كريما ، فقدمه إلى الملك السلجوقى ألب أرسلان ، ولم يلبث أن صار صاحبه الأثير ، فتسنم الوزارة ، وبلغ بها مرتبة سامية أتاحت له أن ينفذ آراءه الإصلاحية ، ويقوم بمجهود ممتاز فى شتى الميادين .

كانت عصامية نظام الملك مفتاح تفوقه ونبوغه ، فقد قرأ تواريخ الوزراء وذوى المكانات المرموقة فى الدولة الإسلامية ، فوجد الحظوة السابغة قد واتتهم عن طريق الدرس والتحصيل ، فأكب على العلم يقتطف ثماره اليوانع ، ولم يحصر أفقه فى فرع خاص منه يتفرغ إلى التعمق فى مسائله والتبحر فى أصوله ، حتى يصبح أستاذه الملحوظ ، ولكنه جعل من اطلاعاته المتنوعة نبراسا يهديه إلى حل مشكلات عصره ، وتفهم حوادث زمنه ، ومعالجة ما قد يعضل من الأدواء ، ومن هنا ربط علمه بالحياة ربطا ساعد على فهمها ودراسة مجتمعها ، وعناصر التأثير فيها ، وتكوين صورة خاصة لكل عظيم يتصدر ناحية من نواحيها الكثيرة ، وكانت أخلاق الرجل سلما آخر لمجده ، فيها تدرج فى معارج الرقى ، وانجذبت إليه الأفئدة والأهواء ، وقد ورث عن عائلته صوفية شفافة ، فمال إلى الفقراء ، وصاحب أهل الزهد والورع ، ونأى فى وزارته عن الترف والملاذ ، ووجد فى مطارحة العقول ومجالسة الفحول لذائذ مغرية ، فحرص على التبصر والتأمل ، وأبدى رأيه فيما يسمع ويقرأ ، ولذلك عمر مجالسه بأئمة العلم وصدور الشريعة من أعلام الإسلام ، وكان يبدى من تعظيمهم وتبجيلهم ما يدفعهم إلى زيارته والتردد عليه ، بل إنه كان يزن كل عالم بميزان دقيق ، فيعرف له مكانه الذى يجب أن يوضع فيه .

كان مجلس الوزير دائرة ثقافية متنوعة الأفانين ، وحسبك أن تعلم أن إمام الحرمين أبا المعالى الجوينى ، وأبا القاسم القشيرى ، وحجة الإسلام الغزالى ، وعبد السلام القزوينى ، وأبا على الفارمذى ، وغيرهم من أئمة الفضل ، كانوا شموس مجالسه وبدور آفاقه ، وكانت صوفيته السليمة النبيلة تدفعه الى المفاضلة بينهم على أساس من الورع والتقوى ، فهو يستشف أسرار النفوس ، ويصل الى الأغوار الكامنة من معادن الناس ونياتهم ، فليست سعة العلم وحدها أساس المفاضلة فى رأيه ، ولكنه يجمع إليها ما توحى به الدلائل المختلفة من عظمة الخلق وقوة الإخلاص ، وكأنى به وقد أدرك أن العلم لا يبلغ قمته العالية إلا إذا امتزج بدماء صاحبه ، فأورثه ترفعا كريما عن الرغبات الزائلة ، وتساميا رفيعا عن مجاملة

مكتبتنا العربية

الناس ومجاستهم لعلة ذاتية أو نفع مادى ؛ قال بعض جلسائه : كان نظام الملك إذا دخل عليه إمام الحرمين وأبو القاسم يقوم لهما ولا يفارق مكانه ، وإذا دخل عليه واعظ خراسان أبو على الفارمذى قام إليه ، وأجلسه مكانه ، وقعد بين يديه ، فسألناه عن مبالغته فى الاحتفاء بالواعظ وحده احتفاء لم يناله سواه ، فقال : إن الجوينى والقشيرى وأمثالهما إذا دخلوا على يقولون لى : أنت كذا وكذا ، ويبالغون فى الثناء بما يبطرنى من المديح ، أما أبو على فيذكر لى عيوب نفسى ، وما أقع فيه من الظلم فأنكسر وأتراجع وأستشعر الهيبة والخشوع !

فهذا الرجل الذى يهمل الثناء، ويحتشد للنقد، ويكترث لصاحبه، إنسان عميق الإدراك، واسع النظرة ، ولا ريب أنه جاهد نفسه جهادا شاقا حتى سما بها فوق النزوات الأنانية التى تتعشق الإطراء العريض ، وذلك وحده فضل عجيب يقترن بالحب والإجلال ! !

ونحن — وقد عرفنا حقيقة نظام الملك — لا نعجب إذا وجدناه يحمل بين جنبيه قلبا رقيقا ، فيأتى من الأعمال ما ينبئ عن رحمة وحنان ؛ كان يأكل ذات يوم على مائدته ، ومعه لفيف من أعيان الدولة، وجماعة من الفقراء والمعوزين — كدأبه فى الجمع بين الطائفتين — فشاهد والى خراسان يجلس جوار فقير مقطوع اليد، والوالى متأفف من جواره ضائق بمكانه، فقام النظام من فوره وجلس جوار الفقير يحادثه ويمد يده فى طبقه ! وبذلك ألقى على الوالى المتعاظم درسا فى المروءة يفوق كل زجر وتأنيب ! ! .

وكانت حوادث عصره وملابسات زمنه تساعده على أداء رسالته فى السياسة والتعليم ، فقد تسنم الوزارة فى خلافة المقتدى بالله العباسى ، وسلطنة ألب أرسلان وملكشاه السلجوقيين ، والخليفة العباسى والسلطان السلجوقى معا يهدفان الى الخير ، ويساعدان على الإصلاح، فاذا نهض الوزير آنئذ بسياسته الإصلاحية لم ير معارضا يقف فى طريقه، وبذلك يسير فى نهج سهل تلاشت عقبته ، وتجافت عنه العراقيل ! .

كان المقتدى بالله خليفة قوى النفس عظيم الهمة ، أصلح كثيرا من الأحوال الاجتماعية ببغداد، فحطم دور الفساد، وطرد المغنيات ، ومنع الملاحين أن يحملوا الرجال مع النساء ، وستأصل الأبراج العالية كيلا تكون مباءة لكشف الأسرار ، والاطلاع على المحصنات فى الخدور ، ولذلك صادفت إصلاحات نظام الملك ارتياحا من نفسه ، فخلع عليه خلعة سنية ! وقدر الوزير الكفء تقديرا كان مدعاة العمل والنشاط ، وكذلك كان سلطانه

مكتبتنا العربية

السلجوق ألب أرسلان ـ فيما يقول ابن الأثير ـ نبيلا عالى الهمة ، بارا بالرعية ، صديقا للفقراء والمعوزين ، وقد ورث عنه ابنه ملكشاه من بعده ما يزينه من النبل والشجاعة والهمة والطموح ، ونظام الملك وزيرهما المختار يتصرف فى الأمور كما يشاء ، وقد تعاون معهما تعاونا صادقا فى الغزو الإسلامى المظفر ، فقد أغار الروم على أملاك الدولة العباسية ، وأفزعوا المسلمين بما فعلوا من إجرام ونهب ، ثم زحفوا على آسيا الصغرى ، وامتدت أطماعهم الى بغداد ، و بعث ملك الروم الى السلطان رسالة تنبئ عن الاستخفاف به ، فأخذ الأهبة الشديدة ، وسار بجنوده الى لقائه ، ونظام الملك من خلفه يرسم الخطة ، ويعد الذخيرة ، وقد قسم السلطان جيشه الى أربع فرق ، تقدم بأحداهن وترك ما بقى كمينا أطبق من الخلف والجانبين ، فوقعت الهزيمة الماحقة بالروم ، وتركوا مغانم كثيرة من مال وذخائر ، ورجعت للاسلام مكانته الشماء .

وبادارة نظام الملك وحسن تدبيره الحصيف ، اتسع نفوذ ملك شاه ، فخطب له من حدود الصين شرقا ، الى آخر بلاد الشام غربا ، وعم البلاد الرخاء ، فشقت القنوات ، ونشطت الزراعة والتجارة ، وقد سار «ملكشاه» بجنوده حتى بلغ حدود القسطنطينية ، وقرر ألف دينار على ملوكها ، ووضع فى الجهات التى فتحها من بلاد الروم خمسين منبرا إسلاميا ! ! وجلجل الأذان الإسلامى فى الآفاق يحمل الرسالة المحمدية ، وينوى بعظمة الإسلام ! !

لم يكن هذا النصر ليتاح فى عهد وزير خامل يفكر فى نزواته وأهوائه ، ولكن قوة نظام الملك الخارقة ، قد جعلت من الدولة السلجوقية دولة مغاز وفتوح ، ولن يتم لدولة عظمة بغير ذخيرتها الحربية ، وقوتها المجاهدة ، وهذا ما فطن إليه الوزير العظيم ، فأعد الجيش القوى ، وهيأ السلاح الماحق ، وكسب النصر الوضاء ، ولو تأخر عهد الوزير العظيم حتى ظهرت قوات التتار المتوحشة لألقى عليها بشكيمته الخارقة درسا قاسيا ، ولما استطاعت أن تمزق الدولة السلجوقية تمزيقا تفتت له الأكباد ! ! ولكن القدر الذى شاء لنظام الملك أن يمثل دوره قبل اندلاع هذه النار المشتعلة ! ! قد هيأ للتتار ظروفا مواتية ، أدوا بها رسالتهم المروعة فى الاستئصال والتدمير ! ! ولو سلك الخلف سبيل السلف ما استشرى الخطب وطم الفساد ! !

هذا فى ميدان الحروب ! ! أما فى ميدان الثقافة فقد رأى النظام ما يغمر العامة من جهل بقواعد الدين ، وحز فى نفسه أن يتلاعب بعض الناس من ذوى الأطماع السياسية

مكتبتنا العربية

بعقائد باطلة ينسبونها الى الإسلام ، ويدعون العامة إليها ليتخذوا منهم قوة مظاهرة تساعدهم على الاستقرار السياسى ! ! حز ذلك فى نفس الوزير فأنشأ المدارس المتعددة فى العراق و إيران وأفغانستان ، وقد حشد لها أئمة الفقه وأعلام الشريعة ، فكان من أساتذتها إمام الشافعية أبو اسحق الشيرازى ، وحجة الإسلام الغزالى ، وأبو نصر بن الصباغ ، وأبو بكر الشاشى ، وعرفت فيما بعد بالمدارس النظامية ، وكان للطلبة بيوت يأوون إليها ، وخزائن واقية تحفظ ملابسهم وكتبهم ورواتب تجرى عليهم كيلا يقطعهم طلب الرزق عن التحصيل ! ! وقد أباح للجمهور أن يسهم مع الطلاب فى النقاش والاستماع ، وأخذت أضواء المعارف تشع وتتكاثر ! ! حتى نشأ جيل جديد ممتاز يدرس الشريعة الصافية ويرد الى الإسلام فى منابعه النقية ، ومهما يكن من شىء فقد كانت هذه المدارس المباركة أساسا للنهضة العلمية التى ازدهرت فى القرن الخامس الهجرى وما وليه من قرون ، وإليها يرجع الفضل فى القضاء على البدع والخرافات التى عششت فى العقول المظلمة ، ورجعت على الإسلام بأوخم العواقب ! ! وقد ألقى فيها نظام الملك بنفسه بعض الدروس فى الحديث والتفسير ، ولم يدّع لنفسه رسوخا فى العلم وتمكنا فى الرواية بل تواضع فقال : إنه لم يبلغ درجة العلماء والمحدثين ! ! ولكنه يرغب فى أن يحسب فى عداد رواة الحديث ، لينال بذلك تشريفا عند الله والناس .

وقد كان إكثاره من المدارس النظامية مدعاة لخطأ وقع فيه الحافظ الذهبى حين قرر أن نظام الملك أول من أنشأ المدارس فى الإسلام ! ! وقد تدارك العلامتان السبكى والسيوطى هذا الخطأ فذكرا أن المدارس الخاصة بالتعليم قد أنشئت فى الإسلام قبل أن يولد نظام الملك بعشرات الأعوام كالمدرسة البيهقية بنيسابور وغيرها ، ولكن النظام أكثر من المدارس اكثارا حميدا . وكان - وحده - أول من أجرى بها المعاليم للطلاب والمدرسين ، ومع هذا التصحيح المقنع فقد تلقف جورجى زيدان رواية الذهبى وتبعه جمع من المستشرقين يعز عليهم أن يسبق تاريخ الإسلام فى إنشاء المدارس ، فهم يرجعون بها دائما فى أبحاثهم المختلطة عن التربية الإسلامية إلى نظام الملك الطوسى ، عن هوى واضح ، وغرض مريب ! !

كانت المدارس النظامية تدعو دعوة صريحة إلى القضاء على الخلاف بين أصحاب الدين الواحد ، فقد كان بعض المعتزلة والأشاعرة والرافضة يحتربون فى حومة خاسرة ، وكل فريق يكيل للآخرتهما تصل إلى الكفر والمروق ، كما أن بعض رجال الفقه من

شافعية وأحناف وحنابلة ومالكية وشيعة قد طاف بهم طائف التعصب، فأصبح الفقيه المتعصب يبحث عن أوجه الخلاف البعيدة ، فاذا قرأ فتوى لزميل يخالف مذهبه بذل جهده فى تزييفها ، حتى لتتعدد الفتوى الواحدة بتعدد الفقهاء ، وهناك ـ مع ذلك كله ـ جماعة المتصوفة الذين يقفون مع الفقهاء فى عراك ترجع خسارته إلى الدين ، وتلك ويلات ألمت أرقت نظام الملك، فعمل على تبديدها باثارة العقول و إضاءة الأذهان، فصافق أهل الانصاف من كل الفرق ، وصاحب المخلصين من رجالها وحشدهم فى مجالسه ، ودعاهم إلى الوحدة لصيانة الإسلام فى عصر يتجمع فيه الفرنج و يتحرشون بالمسلمين ، وقد تنازع ساسة الإسلام وتعددت مذاهبهم المغرضة ، فلا أقل من أن يتحد العلماء فيرأبوا صدعا واسعا يوشك أن يعصف بالبناء، قال عبد السلام بن يوسف القزوينى شيخ المعتزلة فى عصره : دخلت على الوزير الخطير نظام الملك ، وكان عنده أبو محمد التميمى ، وعالم أشعرى ، فقلت له : يأيها الصدر ، لقد اجتمع عندك رءوس أهل النار ، فقال النظام : وكيف ؟ فقلت : أنا معتزلى ، والتميمى مشبه ، وذاك أشعرى ، و بعضنا يكفر بعضا ، فضحك النظام . واذا كان القزوينى قد ساق حديثه مساق الفكاهة ، فهو بلا شك ينبئ عن حقيقة ألمت تضطرم لها الصدور ، إذ يصور ما تنفجر به مجالس العلم من قذائف ملتهبة تتناثر شظاياها المحرقة فى الوطن الإسلامى، فتصيبه بالتصدع والانهيار ، ولولا ما بذله النظام من الجهود فى سبيل الوحدة المخلصة باقامة المدارس للعلم الإسلامى الحق لتفاقم الشر وامتد اللهيب فى كل مكان .

وقد زار النظام بغداد ـ عاصمة الخلافة ـ فأراد أن يضرب المثل بنفسه فى الدعوة الى الوحدة الدينية ، ونبذ الخلاف المذهبى ، فزار مشهد الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق ودعا له بالخير ، وأتبعه بزيارة قبرى الإمامين أبى حنيفة وابن حنبل ودعا لهما ، ثم زار قبر معروف الكرخى، وهو من أئمة التصوف، ودخل المدرسة النظامية وسمع الناس منه قسطا من الحديث ، وأملى قسطا آخر .

وقد خطا الرجل خطوة ثانية فى سبيل الوحدة المرموقة ، فأبطل لعن الرافضة والأشاعرة من فوق المنابر ، وقد كان الوزير عميد الدين السكندرى قد حسن للسلطان طغرلبك لعن الرافضة فأمره بذلك فأضاف اليه لعن الأشاعرة ! ! ورأى نظام الملك فى ذلك فحشا بالغا فأبطله مقتديا بعمر بن عبد العزيز ومن سار على طريقته من أعلام السنة

مكتبتنا العربية

المعتدلين ، و بهذه الأعمال الجليلة ساعد النظام مساعدة فعالة على تقريب وجهات النظر ، وسار فى طريق الوحدة الدينية سيرا حميدا ، إذ أطفأ الأحقاد وأثلج الصدور ، وقد كان المذهب الشافعى يدرس وحده بالمدارس النظامية الكثرة من بها من فقهاء الشافعية ، وليس فى هذا تعصب لمذهب خاص ، ولكن اجتماع الطلاب على مذهب معين أدعى الى سد أبواب الخلاف فى عصر تفاقمت فيه حدة الجدل المذهبى ، بدليل أن الوزير العالم قد بنى ضريحا للامام أبى حنيفة ، وأقام مدرسة خاصة لتدريس مذهبه الجليل ، فلو أن مذهب الشافعى قد قصد لذاته دون تقدير لغيره ، ما أنشأ النظام مدرسة حنفية ، ولكن الجو الذى سمح للخلاف السياسى أن يتسربل بالمذهب الدينى قد دعا إلى سلوك منهج واحد لتلاميذ مخلصين يؤمل فيهم أن يكونوا رسل الوحدة الدينية عن قريب .

وقد قدر للرجل أن يلقى مصرعه شهيدا على يد أحد الإسماعيليين بتحريض زعيمهم الحسن بن الصباح ، اذ كان هؤلاء يدعون الى الانتقاض على الدولة العباسية ، وقد انتشروا فى هضاب فارس انتشارا مروعا يهدد الأمن و يعصف بالاستقرار ، ولقيت دعوتهم آذانا صاغية فى بلاد تألف الفتن المذهبية من قديم ، ورآها الحسن بن الصباح حقلا خصيبا يجنى به آماله ورغائبه . ومع أن الحسن كان زميل النظام فى دراسته التعليمية بطوس ، ومع مابذله النظام له من مساعدة كبيرة حين قدم عليه فى وزارته يلتمس المعونة و يستجدى النفع ! ! ومع الصداقة التى كانت بينه و بين صهر نظام الملك حاكم قلعة «الموت» وانتفاع الحسن بها انتفاعا وجيها وجهة شخصية مريبة ! ! مع ذلك كله فقد دبت عقاربه نحو الوزير ، وعزم على أن يغتاله خفية اذ كانت عين النظام بصيرة تراقب مايقوم به صاحبه من التدمير والافساد ، وقد عزم على قص أجنحته وانهيار طغيانه عزما لا يقبل المفاوضة والتراجع ، ولكن القدر قد سبقه فى طعنة ماكرة من يد دلمى مأفون سخره الحسن لتنفيذ رغبته الآثمة ! وقد ساط عليه أشعته الأخاذة فجذبه الى الجريمة منقادا لتأثيره السحرى الرهيب !

هذا هو سر الاغتيال الآثم كما سجلته الروايات الصحيحة ، وكما يتفق ومنطق الحوادث المتتابعة ، ولن نلتفت إلى ماورواه ابن الأثير فى الكامل ونقله عنه الأستاذ محمد الخضرى بك من أن مصرع الوزير كان بتحريض ملكشاه وتدبيره ، إذ رأى وزيره يقبض على ناصية الأمر بيده ، و يستطيل عليه ، فيقول فى معرض الإجابة عن تهديد صدر اليه من السلطان : إن دولتى مقترنة بتاجك فمتى رفعتها رفع ، ومتى سلبتها سلب ! ! لن نلتفت الى ذلك ، لأن نظام

مكتبتنا العربية

الملك كان فى حياته السياسية ناعم الملمس حصيف التدبير ، ومن كانت له حنكته البالغة ، وتعمقه النافذ ، وحلمه الواسع ، لا يجيب هذه الإجابة الرعناء ! ! تلك التى لا تصدر إلا من شاب مغرور لم تعركه حوادث الدهر وتصقله تجارب الأيام ، بل ان أسلوب النظام الهادئ اللين كان يقتلع الجبال بقوته ، فكيف ينقلب الرزين الحصيف فى شبابه الى أرعن أحمق فى شيخوخته ! وقد استفاد من عمره الطويل ماشد أزره ، وامتد بآفاقه ! ! وان من يقرأ كتابه العظيم « سياسة نامة » يجد من الخبرات والمعارف ، ويطالع من الحيل والتدبير ، ما يدل على مرونة سهلة ، ولياقة أريبة . ومؤلف الكتاب — بعد — سياسى من أليق طراز ، وقد أتيح له أن يكتب فى أصول السياسة ، كما يمثل أدوارها المتناقضة ، ليجمع بين التجربة العملية والأصول النظرية فى آن واحد ! ! ونحن لا ندرى أنعجب بالكاتب السياسى أم بالوزير السياسى ! ! على أن التوفيق بعد القول والعمل أمر يتعسر فى أكثر الأحيان ، ولكن كان ذلولا سمحا عند النظام ، فقضى حياته مبارك الغدوات مأمون العثار ! !

ومهما يكن من شىء فقد فقد التاريخ بمصرعه بطلا حدد العزيمة ، قوى الإيمان ، يستشعر خشية الله دون سواه ، وكان إذا سمع الأذان أمسك عما هو فيه ، ولا يبدأ بشىء قبل الصلاة ، ومع ما كان فيه من الجاه المديد والنفوذ الطائل فقد كان يذكر الآخرة دائما ، ويستعين على تحقيق آماله بالعبادة والتقرب الى الله .

يقول نظام الملك : « كنت فى مطلع حياتى أتمنى أن تكون لى قرية ، ومسجد أعبد الله فيه ، ثم تمنيت أن تكون لى قطعة أرض أنتفع بريعها ومسجد أعبد الله فيه ، ثم تمنيت أن يكون لى رغيف كل يوم ومسجد أعبد الله فيه » وهكذا تتضاءل آماله من قرية الى قطعة أرض الى رغيف ، ويجنح الى التصوف فى إحدى فترات شبابه ، ثم تنبعث همته العالية فيقدر رسالة المسلم فى الحياة ، ويعلم أنها رسالة البعث والقوة والإنقاذ . وإذ ذاك يخطو خطواته الثابتة فى دنيا المجد فيصبح وزير دولة ، ورجل عقيدة ، وبطل تاريخ ما

محمد رجب البيومى
المدرس بالمنصورة الثانوية

مكتبتنا العربية

شريعتنا

مما لامرية فيه أن الشريعة المحمدية الغراء كانت ـ ولا تزال ـ مصدرا لسعادة البشر، التي هي الهدف منذ تواضع الناس على أن تكون لهم شرائع، وما من أمة خلت من الأمم الا كانت لها شريعة تربط أفرادها برباط وثيق، وتحكم صلة الفرد بالمجموع وصلة المجموع بالفرد، لتكون ملاك الفضائل كلها اذا تفاعلت فيها المصالح وتآخت عليها المرافق.

فأحكام الدنيا التي تؤلف « معاملات المجتمع » من بيع وشراء ووصية وهبة ووقف وما الى ذلك من التصرفات هي التي تسلك المجتمع في حياة سرمدية باقية، وتجعله متفاعلا بعضه مع بعض، حتى اذا ند هذا المجتمع عن قسطه المرموق له في الحياة، فعكس الآية في تصرفاته، وأحالها مجرد نقائض لتلك التصرفات، كان أحرى بهذا المجتمع أن يتخلف عن مواكب الطبيعة التي أودعها الله في خلقه منذ القدم.

من أجل ذلك بعث الرسل والأنبياء، فرسموا لأممهم الحدود والمعالم، وعبدوا للفضائل السامية طرقها حتى بلغوا بها القمة، ثم قالوا للناس هذا حلال وهذا حرام، هذا واجب الترك وهذا واجب الفعل. هذا يخطو بالبشرية الى دنيا فاضلة، ويخط لبني الإنسان سبيلا الى السعادة المثلى والطريقة التي لا عوج فيها ولا أمتا، فشريعة آدم البدائية الى شريعة ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ـ عليهم الصلاة والسلام ـ تهدف كلها الى هدف واحد ومرمق واحد: هو العمل لخير الإنسانية والتواصي بالعدل والمرحمة، وتجنب الظلم والمأثمة، ومجافاة الشرور في أقل صورها حتى لا تكبر فتتفاقم ولا تنمو فتتعاظم.

قالوا للناس: أيها الناس، عليكم أن تطرحوا الكذب في معاملة بعضكم لبعض، وتغفيف المكاييل، وبخس الموازين، في تقدير السلع التي ينفى الغبن عنها، فينال كل ذي حق حقه، وتطهير القلوب من أرجاس الغش والملق والرياء والأثرة والعدوان والطغيان والأفك والبهتان، والسير بالفضائل قدما الى المستوى الذي يضفي على الإنسانية المثل الخيرة، وينهض الى ما أعد لها من سؤدد ومجد.

بهذا كله وأكثر منه تواصت الرسل والأنبياء، ثم جاء من بعدهم القادة والزعماء، فساروا على هدى سابقيهم، وأمعنوا في الدعوة الى الرفق بروابط المجتمع أن تتفكك أوصاله، وتحل عراه، وتنهار قوائمه، ولبثوا آلاف السنين يطالبون أبناء البشرية بالعمل لخير البشرية.

مكتبتنا العربية

لكن ما كان أسرع هؤلاء وأولئك ممن ذهبوا فى أحقاب التاريخ الغابر أن تنكروا لهذه المبادئ الصالحة ، بل ما أسرعهم أن أحالوها الى نقائضها ، وجعلوا منها مرتعا لقضاء شهواتهم فى سائر أنحائها .

من أجل ذلك قام المجتهدون بأوفى نصيب فى حضارة العلم يتلمسون سبيلا معبدا ، يهتدى الناس بضيائه ، اذا شع على البشرية قبس من نوره ، فجمعوا الكتاب والسنة والاجماع والقياس ، ثم استنبطوا منها طريقة مثلى للمسلمين الذين يريدون أن يحيوا فى هذه الدنيا حياة طيبة ، وأن تخلد أسماؤهم فى الخالدين لتكون مصدر يمن واشراق .

حدث بعد ذلك أن تطورت تلك النظريات لا الى الخير المطلق بل الى طور أكثر شرور وآثام ، فعدا القوى على الضعيف يسلبه حقه ويغلبه على أمره فى كل ما يصدر عنه ، فالتصرفات الصادرة عن الإنسان من بيع وشراء وهبة ووصية ووقف وما اليها عرض لها الانتكاس ، فانقلبت أوضاعها رأسا على عقب ، وتفاعلت عوامل الشر بين أطراف الخصومة ، والأحوال الشخصية المتعلقة بذات الإنسان قد اتسمت بسمة الضرورة والاستشراء ، ولبست ثوب التمرد على حياة مثالية تضع لكل فرد حدوده اللائقة به ، حتى لا يجمح الى حدود شاذة تنساب به فى جو من التهلكة فتهوى به الى قرار سحيق .

لذلك قامت المحاكم القضائية نائبة عن ولى الأمر فى البلاد الإسلامية : ترسم الحدود ، وتوضح المعالم ، وتدعو الناس الى التحول عن الحكم بالسياط الى شرعة عادلة وحق مبين ، فجاءت المحاكم بأوضاعها وقوانينها ولوائحها تحدد الطريق لكل فرد ، وتبين له سبيل الهدى ، وتجنبه طريق الردى ، فاذا ما كشفت التطورات فى مستقبل الأزمان أن ما جرى به التعامل فى جيل سابق لا يصلح للعمل به فى جيل لاحق كشف أولياء الكلمة عن الدواء فاستأصلوا به الداء ، لكن يبقى بعد ذلك أن كل هذا لم يغن عن منازعات طاحنة ، ومشاكسات بعيدة الغور ، وهذا بطبيعته ضرورى البقاء ما فتئت المصالح فى تشابك وتفاعل ، وما ظلت المنافع فى طغيان بعضها على بعض .

على أن علماء الفروع — وقد استنفدوا الجهد وكدوا قرائحهم فى استنباط أمثل الوسائل لخير البشرية — لا يزالون فى افتقار الى مزيد فى سد مرافق الناس وكفايتهم مما

عباس ط
المحامى

مكتبتنا العربية

موقف الاسلام
من السلم والحرب

عن موسى بن عقبة قال : حدثنى سالم أبو النضر مولى عمر بن عبيد الله ـ كنت كاتبا له ـ قال : كتب إليه عبد الله بن أبى أوفى حين خرج الى الحرورية ، فقرأته فاذا فيه : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فى بعض أيامه التى لقى فيها العدو ـ انتظر حتى مالت الشمس ، ثم قام فى الناس فقال : يأيها الناس لا تمنوا لقاء العدو ، وسلوا الله العافية ، فاذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ، ثم قال : اللهم منزل الكتاب ، ومجرى السحاب ، وهازم الأحزاب ، اهزمهم ، وانصرنا عليهم .

رواه البخارى وغيره واللفظ له

تقديم : الحرورية بفتح فضم نسبة الى حروراء ، وهى بلدة بجوار الكوفة لجأ إليها الخوارج ، تمنوا : أصلها تمنيوا بتاءين ، فحذفت احداهما تخفيفا ، والتمنى : طلب المحبوب . والمراد لا تحبوا لقاء العدو فتتمنوه ، وميل الشمس : انحرافها نحو المغرب ، والعافية : السلامة من البلاء والسوء .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المعنى :

أرسل الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين . بل لم يرسله الا لذلك كما يقول : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » ، وما أذن الله للمؤمنين فى القتال الا لأنهم ظلموا ، وأخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ، والا ليبقى الله عليهم ليكونوا للناس مبشرين ومنذرين . ولهذا أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجنح الى السلم كلما جنح اليها أعداؤه اذ يقول : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم » ولقد كان يدفع المؤمنين الى تمنى لقاء أعدائهم ومناجزتهم بعد ما وعد الله المستشهدين من الجنة والرزق والحياة ما لقوه على أيديهم من بغى وظلم وعدوان ، أو ما لقيه الرسول صلى الله عليه وسلم والمهاجرون من ذلك مما يثير الحمية والغيرة والحفيظة فى قلوب سائر المؤمنين ، فكان من مقتضى رسالته صلى الله عليه وسلم ـ وهو نبى الرحمة ، ومنقذ الأمة ، أن ينهى هؤلاء المجاهدين الصادقين عن أن يتمنوا لقاء عدوهم ، ايثارا لما يرجى من هداهم واسلامهم أو مهادنتهم وسلمهم ، وهو القائل لعلى كرم الله وجهه حين وجهه الى خيبر :

مكتبتنا العربية

« والله لأن يهدى بك رجل واحد خير لك من حمر النعم [١]» وقد علل العلماء هذا النهى بأن المرء لا يعلم ما يئول اليه الأمر .

وهو نظير سؤال العافية من الفتن ، وقد قال الصديق : لأن أعافى فأشكر أحب الى من أن أبتلى فأصبر ، وهذا نظر صائب فأن الله سبحانه قد يبتلى عباده بأعدائه ببعض ما كسبت أيديهم ، كما وقع فى أحد ، وان كانت العاقبة لهم على الكافرين . وقد ورد مرسلا « لا تمنوا لقاء العدو فانكم لا تدرون عسى أن تبتلوا بهم » . وعلل بعض العلماء هذا النهى بما فيه من صورة الإعجاب ، والاتكال على النفوس ، والوثوق بالقوة ، وقلة الاهتمام بالعدو . وكل ذلك يباين الاحتياط والأخذ بالحزم .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « فاذا لقيتموهم فاصبروا » معناه أنه إذا لم يكن من اللقاء بد فاصبروا على مواجهة الباغين كما يصبر على البلاء ، ولا تجبنوا عن منازلة الأعداء ، وقد تبين بهذا أن لا تنافى بين هذا النهى وبين ما يجب على المؤمن من تمنى الاستشهاد كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم إذ يقول : « والذى نفسى بيده لوددت أنى أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل » وإذ دعا به لبعض ذوات الهمم من الصحابيات إذ حدث عن أناس من أمته عرضوا عليه يركبون هذا البحر الأخضر [٢] كالملوك على الأسرة ، فقالت : فادع الله أن يجعلنى منهم فدعا لها ، فنالت الشهادة كما سألت حينما خرجت مع زوجها عبادة بن الصامت رضى الله عنه أول ما ركب المسلمون البحر مع معاوية ـ رضى الله عن الجميع ـ وكان ذلك عند قفولهم من الغزو ، وكما سيأتى من فعل السلف ودعائهم لأنفسهم به ، إذ قد تبين أن لكل من السلم والحرب موضعه كما علمت ، وما أحكم قول بعض الإسلاميين فى مثل ذلك :

ولا أتمنى الشر ، والشر تاركى ولكن متى أحمل على الشر أركب

والمراد من قوله صلى الله عليه وسلم : « واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » كما بينه

---

(١) حمر النعم : الإبل الحمر وهى أحسن أموالهم .

(٢) هو المعروف الآن بالبحر الأبيض المتوسط ، وكان ركوبهم فى عهد معاوية رضى الله عنه ففتحوا جزيرة قبرص ثم غيرها الى أن غزوا جنوبى ايطاليا بعدئذ .

مكتبتنا العربية

صاحب المجازات النبوية أنّ الصبر تحت السيوف لجهاد الكافرين، ودفاع أعداء الدين، يفضي بالصابر الى دخول الجنة ، ونزول دار الأمنة . فلما كان ذلك سببا لدخولها ، والوصول الى نعيمها ، جاز أن يسمى باسمها ، وأوضح من ذلك وأقرب الى القلوب أنّ الكلام على وصف مايجده الشهيد نفسه و يدركه عند وقوعه فى مصرعه، فأنه لن يجد فى ضيق الميدان الا سعة الجنان و روح الرضوان ، وانّ منهم من وجد ريحها من دون أحد فسعى اليها ، ومنهم من هتف حين صرع بالفوز بها وسيأتيك قصصهما .

ولقد كان لمثل هذا الوعد الصادق من النبي صلى الله عليه وسلم من الأثر فى قلوب المؤمنين الأولين ما لا يخطر ببال ، ولا يبلغ حقيقته خيال . أولم تر اليهم وهم أقل الفئتين عددا وعدة كيف افتتحوا مواسم النصر فى بدر ، فلم تكد تنتهى أعيادها حتى أخذت بأطراف الأرض ، وفى تاريخ الإسلام من ذلك الروائع التى ارتاعت لها قلوب المشركين، واندكت لهيبتها معاقل الباغين . فمن ذلك أنّ النبى صلى الله عليه وسلم حين قال يوم بدر : « لا يقاتلنهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة » قال عمير بن الحمام وفى يده تمرات يأكلها : اما بينى و بين أن أدخل الجنة الأأن يقتلنى هؤلاء ! ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قتل وهو يقول :

ركضا إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد
والصبر فى الله على الجهاد وكل زاد عرضة النفاد

غير التقى والبر والرشاد

وعن أنس رضى الله عنه قال : غاب عمى أنس بن النضر عن قتال بدر فقال : يا رسول الله ، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين . لئن الله أشهدنى قتال المشركين ليرين الله ما أصنع ، فلما كان يوم احد وانكشف المسلمون قال : اللهم إنى أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعنى أصحابه ـ وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ـ يعنى المشركين ـ ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال : يا سعد بن معاذ الجنة ، ورب النضر إنى أجد ريحها من دون أحد . قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع [١] . قال أنس : فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم .

---

(١) أى لم أستطع مثله .

مكتبتنا العربية

وحين حمى وطيس الحرب بين العرب والروم فى غزوة مؤتة ، والروم أضعاف أضعاف العرب ، اقتحم أحد أمراء الجيش ، وهو جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ـ اقتحم عن فرسه ثم عقرها [١] وقاتل حتى قتل وهو يقول :

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارد شرابها

ومن هؤلاء الجند المؤمنين من طعنه عدوه طعنة نافذة برقت لها عظام صدره فسمعه يقول : فزت والله . فعجب من أمره إلى أن علم أنه الفوز بالجنة فآمن على أثره .

وإن الناظر إلى ما انتاب المسلمين فى عصورهم المتأخرة من ضعف وخذلان وذلة وهوان ، ليرى أن ذلك ليس الا مظهرا من مظاهر ضعف الإيمان ، وعدم الرغبة فيما أعد الله للمجاهدين من منازل الرضوان ، الى ما وعدهم به من النصر والتأييد والعزة والتمكين . وفى الحديث عن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والتمكين فى الأرض » وقد تبين أن ذلك مشروط بالجهاد من قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر : « يوشك أن تداعى [٢] عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها . قالوا : من قلة بنا يومئذ ؟ قال : أنتم ذلك اليوم كثير ، ولكن غثاء كغثاء السيل [٣] تنتزع المهابة من قلوب عدوكم ، ويجعل فى قلوبكم الوهن . قالوا : وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت » . وصدق على كرم الله وجهه اذ يقول : ان الجهاد باب من أبواب الجنة ، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وديث بالصغار [٤] .

وقد أخذ بعض العلماء من العبارة التى شرحناها الحض على مقاربة العدو ، والاجتماع حين الزحف حتى تصير السيوف تطل المتقاتلين . وهذه الصورة وإن كانت قد تغيرت بتغير آلات الحرب إلا أن مغزاها من الإقدام والسبق فى العمل لا يزال قائما .

وقوله صلى الله عليه وسلم «اللهم منزل الكتاب الخ» إشارة إلى التوسل بالنعمة السابقة وهى هزيمة الأحزاب بما أرسل عليهم من ريح وجند ، وإلى تجريد التوكل من شبهة

---

(١) أى حتى يقطع على نفسه سبيل الفرار عليها .
(٢) تداعى : تتداعى أى تتابع عليكم بعضهم فى اثر بعض .
(٣) غثاء السيل زبده ورغوته .
(٤) أى ذلل بالحقار .

مكتبتنا العربية

الاعتداد بقوة أو نفس ، والى اعتقاد أن الله هو المنفرد بالفعل . وفيه التنبيه على عظم هذه النعم الثلاث الواردة فى الدعاء : وهى إنزال الكتاب ، وإجراء السحاب ، وهزيمة الأحزاب ، فبإنزال الكتاب حصلت النعمة الأخروية ، وهى الإسلام . وبإجراء السحاب حصلت النعمة الدنيوية ، وهى الرزق . وبهزيمة الأحزاب حصل حفظ النعمتين . وكأنه قال : اللهم كما أنعمت بعظيم النعمتين : الأخروية والدنيوية ، وحفظتهما فأبقهما ؛ ولا عجب أن تكون النعمة مقتضية لمثلها . فقد سئل بعض ذوى الأريحية والاهتزاز للمعروف من سلفنا : أى الناس أحق بإحسانك ؟ فقال : من أحسن الى . فقيل له : ثم من ؟ فقال : من أحسنت إليه . فقيل له : لم ؟ فقال : لأنى رأيته للاحسان موضعا . المراد هذا الثانى . وافتتح بعض سلفنا كتابا له بقوله : « رب أنعمت فزد » .

أما بعد . فقد كان سلفنا الصالحون — رضى الله عنهم — يؤمنون بأن النصر إنما هو من عند الله العزيز الحكيم بعد أن يطيعوا الله ورسوله بأعداد العدة ، وأخذ الأهبة ، والكف عن العدوان ، والصبر على اللقاء ، والإخلاص لله ، والاستعانة بالتضرع والدعاء . وقد كان ذلك دأبهم فلم يخلفهم الله وعده ، ولم يحرمهم نصره . والعجب من أمرهم أن كانوا يلزمون أدب السنة ولو لقوا به ألوان العناء وصنوف الشدة . والعجب من أمرنا أنا لانصبر على سنة ولا فريضة . ولو أوتينا بها الرخاء والنعمة .

روى الطبرى وغيره أن النعمان بن مقرن رضى الله عنه لقيته فى حرب نهاوند (١) سنة ٢١ هـ فى عهد عمر رضى الله عنه جموع كأنهم جبال حديد قد تواثقوا أن لا يفروا من الغرب ، وأخذوا يرمون المسلمين ، حتى أفشوا فيهم الجراح وهم كامنون ، فأخذوا يشكون إليه ما يلقون . وهو يقول : رويدا رويدا ، وكلما عادوا اليه قال لهم مثل ذاك ، وجعل ينتظر بالقتال اكمال ساعات كانت أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقى فيها العدو . وذاك عند الزوال ، وتفيؤ الأنياء ، ومهب الرياح . فقال له المغيرة : يرحمك الله ، انه قد أسرع فى الناس (يعنى ما يصيبهم) فاحمل فقال : والله انك لذو مناقب ، لقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القتال . فكان اذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس ، وتهب الرياح ، وينزل النصر . ثم قال رضى الله عنه بعد أن أرشدهم الى ما يفعلون : اللهم أعط اليوم النعمان (يعنى نفسه) الشهادة فى نصر المسلمين ، وافتح عليهم ، ثم حمل فكان أول شهيد ونصر الله المسلمين . وفى بعض الأحاديث زيادة عن الأصل ، وما ذكره النعمان « وتحضر الصلوات » وحكمته أن يدعو المسلمون للمجاهدين فى صلواتهم ، وقد كان نزول النصر على الأحزاب حين زوال الشمس وهبوب الرياح ؛

محمود فرج العقدة

(١) من بلاد فارس .

مكتبتنا العربية

لغويات

الحيوانات . المستشفيات . المحلات

تجرى هذه الجموع فى ألسنة الناس ، وقد أنكرت على الناطقين بها ، وذلك أن الواحد فيها مذكر ، وهو الحيوان والمستشفى والمحل ، والمعروف فى الجمع بالألف والتاء أن يكون واحده مؤنثا بالتاء كفاطمة وطلحة ، أو أن يكون مدلوله مؤنثا وهو مجرد من التاء كزينب .

وإذا رجعنا الى كتب النحو نستفتيها فى هذا الأمر نجد أن سيبويه أفرد فى كتابه بابا لما يجمع بالألف والتاء من المذكر ، فهو يقول فى ١٩٨/٢ : « هذا باب ما يجمع من المذكر بالتاء لأنه يصير الى تأنيث إذا جمع ، فمنه شىء لم يكسر على بناء من أبنية الجمع ، فجمع بالتاء إذ منع ذلك ، وذلك قولهم : سرادقات وحمامات وإوانات ، ومنه قولهم : جمل سبحل وجمال سبحلات وربحلات وجمال سبطرات ، وقالوا : جوالق وجواليق ، فلم يقولوا جوالقات حين قالوا جواليق ... وربما جمعوه بالتاء وهم يكسرونه على بناء الجمع لأنه يصير الى بناء التأنيث ، فشبهوه بالمؤنث الذى ليس فيه هاء التأنيث ، وذلك قولهم : بوانات وبوان للواحد وبون للجميع » وحاصل كلامه أن العرب جمعت بعض المذكر بالألف والتاء ، وأغلب ما ورد من ذلك عنهم مالم يجمعوه جمع تكسير كالسرادقات فى السرادق ، ولو شاءوا لقالوا : سرادق جمع تكسير ، فلما لم يقولوا ذلك لجئوا الى السرادقات ، وكالإوانات فى جمع الإوان — وهو البهو العظيم من البناء — ومنه إوان كسرى ، ويقال أيضا : إيون ، وكالحمامات فى جمع الحمام ، وقد ورد عنهم فى جمع البوان — وهو من أعمدة الخيمة — البون والبوانات ، فقد جمعوه بالتاء مع جمعهم إياه جمع تكسير على فعل ، إذ أصل بون بُوُن ، وقد ختم سيبويه هذا الباب بأن الأمر فيه سماعى وليس بابا من أبواب القياس إذ يقول : « فهذه حروف تحفظ ثم يجاء بالنظائر » أى إن هذه الحروف خارجة عن نظائرها وقياسها فيقتصر عليها ، ويجاء بالقياس والنظائر فيما وراءها ، وقد أورد الزمخشرى فى المفصل ما أورده سيبويه ، وقال ابن يعيش فى شرحه ٥ / ٨٥ : « وما كان من هذا الجمع فسبيله أن يحفظ ولا يقاس عليه » فهذا رأى سيبويه ومن تبعه .

مكتبتنا العربية

وظاهر كلام الرضى فى شرح الكافية أن الفرّاء يقيس هذا فيما لا يعقل ، فقد قال فى هذا الشرح ٢ / ١١٧ : « ويجمع هذا الجمع غالبا غير مطرد نوعان من الأسماء ، أحدهما اسم جنس مذكر لا يعقل إذا لم يأت له تكسير ، كحمامات وسرادقات ، وكذا كل خماسى أصلى الحروف كسفرجلات ، لأن تكسيره مستكره كما يجىء ، وعند الفرّاء هذا القسم أيضا مطرد . . . وثانيهما الجموع التى لا تكسر » فقوله : « وعند الفرّاء هذا القسم أيضا مطرد » يريد النوع الأول بشقيه ، وهما ما لم يكسر ، والخماسى الأصول . ويقصر الشيخ يس فى كتابته على شرح القطر للفاكهى ١ / ٩٠ رأى الفرّاء على الشق الثانى ، والوجه التعميم فأن الشقين من قبيل واحد ، والفكرة فيهما عدم التكسير ، فأن خماسى الأصول يستكره تكسيره ، وأصرح من هذا ما نقله صاحب المصباح عن ابن الأنبارى ، وهو من متقدمى الكوفيين ومن تابعى الفرّاء ، فقد قال فى حرف الباء (الابن) : «قال ابن الأنبارى : واعلم أن جمع غير الناس بمنزلة جمع المرأة من الناس ، تقول فيه : منزل ومنزلات ، ومصلى ومصليات » وتراه لا يقيد الحكم بعدم التكسير ، إذ مثل بالمنزل وهو يجمع على المنازل .

ونرى من البصريين إماما يخالف مذهب الفرّاء وابن الأنبارى فى جمع مالا يعقل من المذكر بالتاء ، وهو أبو الفتح بن جنى ، فقد جاء فى كتابه المحتسب فى توجيه القراءات الشاذة عند قوله تعالى فى الآية ٥٧ من سورة التوبة : « لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون » « قراءة الناس مغارات ، وقرأ سعد بن عبد الرحمن ابن عوف مُغارات ، قال أبو الفتح : أما مغارات على قراءة الناس فجمع مغارة أو مغار ، وجاز أن يجمع مغار بالتاء وان كان مذكرا لأنه لا يعقل ، ومثله اوان واوانات ، وجمل سبطر وجمال سبطرات وحمام وحمامات ، وقد ذكرنا هذا ونحوه فى تفسير ديوان المتنبي عند قوله : ففى الناس بوقات لها وطبول »

ولم أقف على شرح ديوان المتنبى لابن جنى ، وفى شرح العكبرى : « قال أبو الفتح : عاب عليه من لا مخبرة له بكلام العرب جمع بوق ، والقياس يعضده ، اذ له نظائر كثيرة مثل حمام وحمامات ، وسرادق وسرادقات ، وجواب وجوابات . وهو كثير فى جمع ما لا يعقل من المذكر » وتراه لا يقيد بألا يجمع جمع تكسير كما قيد سيبويه ومن تبعه .

مكتبتنا العربية

وقد اعتمد فى الحكم بالقياس فى هذا الضرب على كثرة النظائر ، وأورد بعضها . ويزاد عليه الخورانات فى جمع الخوران وهو الدبر أو مجرى الروث من البهائم ، قال فى اللسان بعد أن ذكر الخوران بمعانيه : « والجمع من كل ذلك خورانات وخوارين . قال فى جمعه على خورانات : وكذلك كل اسم كان مذكرا لغير الناس جمعه على لفظ تاءات الجمع جائز ؛ نحو حمامات وسرادقات وما أشبههما » . وهذا نص لغوى يضاف الى ما تقدم عن الفراء وابن الأنبارى وابن جنى .

وفى خطبة فقه اللغة للثعالبى فى وصفه أياما قضاها عند الأمير الذى ألف باسمه الكتاب وطيبها : « فأنها كانت بطلعته البدرية وعشرته العطرية ... أنموذجات من الجنة التى وعد المتقون » والانموذجات جمع الأنموذج ، وهو مثال الشىء الذى يعمل عليه ، وفى المصباح . « وهو تعريب نموذه » ويبدو أن كلمة « المودة » مختزلة من هذه الكلمة الفارسية ، فأصلها الصورة أو المثال يحتذى وغلب فى العرف الحديث فى المبدع من الأزياء واللباس ، وقد أخذها المصريون اليوم عن أصل فرنسى ، ويذكر معجم لاروس أنها عن أصل لاتينى ، ولا يبعد أن يكون الأصل فى ذلك هو الفارسى ، ومن النظائر قولهم المرحلات فى جمع المرحّل ، وهو ضرب من برود اليمن عليه تصاوير الرحل . وفى الحديث : وكان يصلى وعليه من هذه المرحلات ، كما فى اللسان .

ويخلص القارئ من هذا البحث الى جواز ما سطر فى صدر البحث : الحيوانات والمستشفيات والمحلات .

وأذكر هنا أن الحيوان فى الأصل مصدر بمعنى الحياة ، وجاء من هذا قوله تعالى فى الآية ٦٤ من سورة العنكبوت : « وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون » وأطلق الحيوان على ما به الحياة أو على كل ذى روح ناطقا كان أو غير ناطق ، واشتهر فى غير الناطق . ولكون الحيوان فى الأصل مصدرا لم يجمعه العرب ، وجمعه جائز لنا ؛ ألا ترى أن المصدر نفسه يجمع اذا تعددت أنواعه .

ومن ذلك العلوم والفهوم والبيوع والتجارب . وجاء منه قوله تعالى فى الآية ١٠ من سورة الأحزاب « وتظنون بالله الظنونا » فالحيوانات لا بأس بها من الناحية اللغوية . وفى اللسان (زمن) : الزمانة آفة فى الحيوانات » وأذكر هذا على سبيل الاستئناس

مكتبتنا العربية

لا الاحتجاج فحسبنا فيه ما أسلفت . وأذكر أن حديقة الحيوان فى الجيزة كانت تسمى من قبل حديقة الحيوانات ـ فيما أذكر ـ فغيرت الى حديقة الحيوان . ويلقن المعلمون التلاميذ أن جمع المستشفى المشافى ، وهذا خير ، ومقام التعليم غير مقام الحكم على الكلمات الشائعة ، فأن هذه يتساهل فى أمرها إذا كان لها وجه من الصحة . وكذلك المحلات فى جمع المحل ينبغى أن يقتصر فى التعليم على المحال ، ولكل مقام مقال .

استعراض الجيش

أنكر بعض النقاد هذه العبارة ، وأوجب ان يقال : عرض الجيش ؛ إذ ان هذا هو الوارد فى اللغة . ففى الأساس : «وعرضت الجيش عرض عين إذا أمررته على بصرك لتعرف من غاب ومن حضر » وفى اللسان والقاموس نحوه .

على أنه ورد فى اللسان : « استعرضه : سأله أن يعرض عليه ما عنده . . واستعرضته أى قلت له : اعرض على ما عندك » فالاستعراض للمرء أن يطلب اليه معرفة ما عنده ، وهذا المعنى فى عرض الجيش . فالقائد يعرضه الجيش يتعرف حالته ، فيصح أن يقال فيه الاستعراض من غير عسر . وفى تفسير الطبرى ١ : ٢١ فى حديث زيد بن ثابت : « فاستعرضت المهاجرين فلم أجدها عند أحد » يريد آية من آى القرآن افتقدها فيما كتب من القرآن فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فسأل المهاجرين عنها ، فقوله : « فاستعرضت المهاجرين أى سألتهم أن يعرضوا على ما عندهم فى شأن هذه الآية وحاولت تعرف رأيهم . ولا يبعد من هذا المعنى استعراض الجند . وفى المادة استعراض الخوارج لمن لم يدخل فى مذهبهم . وفسر فى اللسان بقتلهم كل من لقوه وظفروا به مسلما كان أو كافرا ، وفى الفصل لابن حزم ٤ : ١٨٩ فى حديثه عنهم : « وقالوا باستعراض كل من لقوه من غير أهل عسكرهم ، ويقتلونه إذا قال : أنا مسلم » فاستعراض الخوارج عند ابن حزم أن يتعرفوا حال من يلقونه . فأن قال : إنه مسلم قتلوه ، وإن قال : إنه ذمى تركوه ؛ فأن من فى بلاد الإسلام حين ذاك مسلم أو ذمى . وكان الخوارج لا يعرضون للذمى ولا لماله . وفى تاريخ الطبرى فى حوادث سنة ٣٧ أن الخوارج قتلوا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن أحدهم ضرب بسيفه خنزيرا لأهل الذمة ، فأنكر عليه إخوانه وقالوا : هذا فساد فى الأرض ، وألزموه أن يرضى صاحب الخنزير .

مكتبتنا العربية

فيه عندى كتاب

هـذا تعبير يجرى فى لسان العـامة ، يريدون : يوجد عندى كتاب . وترى الضمير فى « فيه » لا مرجع له ، ويبدو أن الأصل : فى العـالم أو فى الـكون بمعنى الـكائنات أو الوجود بمعنى الموجودات ثم أضمر هذا كما فى قوله تعالى : « ما ترك على ظهرها من دابة » أى على ظهر الأرض . وقد ذكرت بهـذا عبارة وردت فى المهذب لأبى اسحق الشيرازى الفقيه الشافعى المتوفى سنة ٤٧٦ إذ يقول : « وإن قال : اشترى عبدا لم يصح ؛ لأن فيه ما يكون بمائة وفيه ما يكون بألف فيكثر الغرر » فقوله « فيه » أى يوجد كما يقـول العامة ، ومن البعيد أن يقال : لأن فيه أى فى العبد أى فى جنسه فهذا غير ظاهر الكلام . وعلى هذا فقوله : « لأن » يريد : لأنه ، فاسم أن ضمير الشأن وقد حذف . ا هـ

محمد على النجار

طه حسين وابنه « كلود »

تساءل الدكتور طه حسين فى مقاله الأخير بصحيفة الجمهورية عمن أنبأ شيوخ الأزهر أنه « سفير فوق العادة لفرنسا » وهو التعبير الصادق الذى أطلقته عليه فى مقالى بالعدد السابق .

وإنى أحيله فى ذلك الى جوه الفرنسى الذى يعيش فيه ، وإلى ما نشر عن أولاده فى كتاب (أصدقاء الثقافة الفرنسية فى مصر من سـنة ١٩٢٥ الى سنة ١٩٤٥) ، ودعوته الملحة فى الأخذ بالحضارة الغربية خيرها وشرها ! ! . وتهجمه على كل ما هـو اسلامى أو عربى أو شرقى ! !

ثم أحيله الى ما كتبه الـكاتب الاسـلامى الحر (السيد محب الدين الخطيب) فى افتتاحية العدد المـاضى وهذا العدد من المجلة ، ثم الى ابنه كلود صاحب الاسم الفرنسى وهو يتغنى بموسيقى الـكنيسة ! ! . ولـكن هل يقتنع الدكتور ؟ ؟ !

لقد عودنا دائمـا أنه لا يؤمن بمـا يؤمن به الناس هنا ، لأنه آمن بمـا آمن به الناس هناك ، وعرف أن ذيوع اسمه يدين للخروج على كل ما هو مقدس فى بنى ملته ، ومخالفة كل معروف . . . ا هـ

زكريا البرى

مكتبتنا العربية

فيه عندى كتاب

هـذا تعبير يجرى فى لسان العـامة ، يريدون : يوجد عندى كتاب . وترى الضمير فى « فيه » لا مرجع له ، ويبدو أن الأصل : فى العـالم أو فى الـكون بمعنى الـكائنات أو الوجود بمعنى الموجودات ثم أضمر هذا كما فى قوله تعالى : « ما ترك على ظهرها من دابة » أى على ظهر الأرض . وقد ذكرت بهـذا عبارة وردت فى المهذب لأبى اسحق الشيرازى الفقيه الشافعى المتوفى سنة ٤٧٦ إذ يقول : « وإن قال : اشترى عبدا لم يصح ؛ لأن فيه ما يكون بمائة وفيه ما يكون بألف فيكثر الغرر » فقوله « فيه » أى يوجد كما يقـول العامة ، ومن البعيد أن يقال : لأن فيه أى فى العبد أى فى جنسه فهذا غير ظاهر الكلام . وعلى هذا فقوله : « لأن » يريد : لأنه ، فاسم أن ضمير الشأن وقد حذف . ا هـ

محمد على النجار

طه حسين وابنه « كلود »

تساءل الدكتور طه حسين فى مقاله الأخير بصحيفة الجمهورية عمن أنبأ شيوخ الأزهر أنه « سفير فوق العادة لفرنسا » وهو التعبير الصادق الذى أطلقته عليه فى مقالى بالعدد السابق .

وإنى أحيله فى ذلك الى جوه الفرنسى الذى يعيش فيه ، وإلى ما نشر عن أولاده فى كتاب (أصدقاء الثقافة الفرنسية فى مصر من سـنة ١٩٢٥ الى سنة ١٩٤٥) ، ودعوته الملحة فى الأخذ بالحضارة الغربية خيرها وشرها ! ! . وتهجمه على كل ما هـو اسلامى أو عربى أو شرقى ! !

ثم أحيله الى ما كتبه الـكاتب الاسـلامى الحر (السيد محب الدين الخطيب) فى افتتاحية العدد المـاضى وهذا العدد من المجلة ، ثم الى ابنه كلود صاحب الاسم الفرنسى وهو يتغنى بموسيقى الـكنيسة ! ! . ولـكن هل يقتنع الدكتور ؟ ؟ !

لقد عودنا دائمـا أنه لا يؤمن بمـا يؤمن به الناس هنا ، لأنه آمن بمـا آمن به الناس هناك ، وعرف أن ذيوع اسمه يدين للخروج على كل ما هو مقدس فى بنى ملته ، ومخالفة كل معروف . . . ا هـ

زكريا البرى

مكتبتنا العربية

أسرار الشريعة الاسلامية

فى بدء الشهر الشرعى

بالوضع الهلالى لا بالوضع الاقترانى

سئلت ممن يعنيهم الوصول إلى توحيد كلمة الحكومات الإسلامية فى مبدأ الصيام والفطر عما يبدو لى من النقد الفلكى الشرعى نحو فكرتين تردان دائما على ذهن الباحث فى هذا الموضوع ـ أرجو التفضل بنشر ما أمكن إبداؤه فى مجلة الأزهر تنويرا لطريق البحث فى هذه المسئلة الفلكية الشرعية .

الأولى : اعتبار مبدأ الشهر القمرى الشرعى بالاقتران الحقيقى .

الثانية : اعتباره باثبات الحساب لإمكان الرؤية فى آخر بلد من بلاد الإسلام نحو الغرب كمراكش .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وجوابى عن الفكرة الأولى — أن الوضع الاقترانى سواء أكان حقيقيا أم وسطيا وإن أمكن اعتباره مبدأ للشهر القمرى المدنى فى جميع البلاد إلا أنه ليس أليق عالميا من الوضع الهلالى فى هذه المبدئية من وجوه . . .

« الوجه الأول » أن (الوضع الاقترانى) أى اجتماع القمر بالشمس فى نقطة واحدة من دائرة البروج لا يدرك بالحس إذ يستحيل رصده لحصوله وقت « المحاق » ولا يمكن معرفته إلا (بالحساب) بخلاف (الوضع الهلالى) إذ يعرف بالحس والرؤية كما يعرف بالحساب فما فيستوى فى معرفته (الأمى) و (الكاتب الحاسب) .

« الوجه الثانى » أن نفس الفلكيين قديما وحديثا قالوا : إن القمر فى الوضع الهلالى بمنزلة الموجود بعد العدم والمولود الخارج من الظلم فهو أليق بمبدئية الشهر من الوضع الاقترانى . . .

مكتبتنا العربية

«الوجه الثالث» : أن مبدأ الشهر المعتبر بالوضع الاقترانى الحقيقى أو الوسطى يختلف مع المبدأ المعتبر بالوضع الهلالى فى يوم أو يومين .

« الوجه الرابع » : أن قول البعض إن الوضع الاقترانى لا يختلف باختلاف المطالع لا يصدق بهذا الإطلاق فانه و إن كان حدثا سماويا لا يختلف باختلاف المطالع البلدية باعتبار ذاته إلا أن وقته الذى لابد من معرفته عند الحساب له يختلف باختلافها كالوضع الهلالى فأن وقت الاجتماع إذا كان فى القاهرة (الساعة ٣) مثلا ففى بغداد (الساعه ٤) وفى دلهى (الساعة ٥) وفى باندونج (الساعة ٦) وفى لندن (الساعة ١) وفى تونس (الساعة ٢) وهكذا فلا ميزة له من هذه الجهة .

« الوجه الخامس » : أن الاقتران الحقيقى يتساوى مع الهلال فى أن الحساب لكل منهما لايدخل تحت قاعدة عامة لعدم تساوى زمن الدورة الاقترانية والهلالية فى كل مرة إذ يحتاج كل شهر فيهما الى حساب خاص .

الأمر الذى جعل جمهور الحساب للشهر القمرى المدنى من قبل الإسلام يعمدون الى اعتبار مبدئه من الاقتران الوسطى لا الحقيقى ليمكنهم إدخاله تحت قاعدة عامة فى كل شهر . ثم اصطلحوا على جعل أيام كل شهر من الشهور الأفراد فى السنة (٣٠ يوما) والأزواج (٢٩ يوما) إلا ذى الحجة فى السنة الكبيسة فجعلوه (٣٠ يوما) وذلك ليتلاشى الكسر اليومى فى مدة (٣٠ سنة) الخ . ولا زال هذا الاعتبار الوسطى متبعا فى تكوين جداول التقاويم والتواريخ القمرية ومقارنة التاريخ الهجرى بسائر التواريخ الشمسية والقمرية . .

هذا من جهة العلم والعقل ، وأما من جهة الشرع فالشارع إنما عين الوضع الهلالى لمبدأ الشهر القمرى الدينى أى الذى تتعلق به أمور دينية كالصيام ، والفطر ، والحج . فمن أين هذا التخيير الذى يدل عليه هذا السؤال وظواهر النصوص الشرعية كلها تناقضه ؟ وكيف نجرؤ على جعل (الوضع الاقترانى) مبدأ للشهر الشرعى ، وفى هذا الجعل نقل الحج والصيام والفطر وسائر الأعياد والمواسم الدينية عن أزمانها المؤقتة بها وأمر الشارع بحدودها . . « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة » .

والخلاصة أن الوضع الاقترانى الحقيقى أو الوسطى لا يصلح مبدأ للشهور الشرعية اصلا ، لأنه مفوت لمعنى الهلالية المأخوذة من النصوص الشرعية ، كقوله صلى الله عليه وسلم :

مكتبتنا العربية

« صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » إذ لا بد فى تحقق هذا المعنى من (اتجاه نور القمر نحو سطح الأرض بعد محاقه بحيث تمكن رؤيته بعد غروب الشمس دون خفاء والسماء صحو) ومخالفة هذه النصوص دون معارضة حقيقية إحداث لشرع لم يأذن به الله .

والجواب عن الفكرة الثانية — لا كلام فى أنه إذا ثبت أول الشهر «بالرؤية نفسها» فى أبعد بلد الى الغرب من العالم الإسلامى «كمراكش» مثلا فانه على رأى الإمام أبى حنيفة ومن تبعه من محققى المذاهب يثبت الشهر أيضا فى جميع العالم الإسلامى حتى فى أبعد بلد منه الى الشرق «كأندونسيا» .

وبيانه أن مساكن الحكومات الإسلامية تنحصر فى (١٣٥) درجة من سطح الأرض المقدر كله بـ (٣٦٠) اذ تبدأ هذه المساكن من الشاطئ الشرقى لآسيا وتنتهى بالشاطئ الغربى لأفريقيا أعنى من الدرجة (١٢٠) شرق جرينتش الى الدرجة (١٥) غربيها .

وأوضح من ذلك اعتبار التوقيت العام بقسمة $\frac{١٣٥}{١٥} = ٩$ تسع ساعات منها ٨ ساعات قبل جرينتش وساعة واحدة بعدها ، وحينئذ يمكننا القول بأن أندونسيا تسبق مراكش بتسع ساعات بحيث اذا ثبت الهلال عند غروب الشمس بمراكش تكون الساعة بالتوقيت العام فى أندونسيا (التاسعة) بعد غروب الشمس عندهم — أعنى الثالثة بعد نصف الليل ، مع ملاحظة أن الليل عندهم لا يقل عن (١٢) ساعة دائما ضرورة وجود بلادهم على خط الاستواء تقريبا فيبقى على الفجر عندهم أكثر من ساعة وهو زمن يتسع للتهيؤ لصيام النهار بدون حرج .

هذا اذا ثبت هلال الشهر بالرؤية بالفعل ، وفرضنا إعادة الثقة والصلة بين الحكومات الإسلامية بحيث تقوم حكومة مراكش بتبليغ هذا الاثبات الى جميع الحكومات الاسلامية بواسطة الإذاعات اللاسلكية مثلا ، ويكون الأمر أتقن وأوكد اذا كان الإثبات بالرؤية والحساب لها معا . أما اذا دل الحساب فقط على امكان رؤية الهلال ولم تحصل الرؤية بالفعل كما هو المفهوم من روح السؤال ، فهل يثبت الشهر . . . ؟ وهل اذا ثبت وهذا أيضا يصح أن يثبت فى جميع العالم الإسلامى كما قدمنا فى الرؤية بالفعل . ؟ هذا محل الكلام .

والكلام هنا ذو حالتين « الأولى » فيمن يعتمد الحساب لبدء الشهر الشرعى ، وفى دليله ، وماهية هذا الحساب . « الثانية» فى شروط هذا الحساب المهيئة لقبوله .

مكتبتنا العربية

«الحلقة الأولى» : ليعلم أولا أن ظواهر النصوص الشرعية التي لم تعارض تدل على أن بدء الشهر الشرعي يثبت إما بالرؤية بالفعل أو بالإكمال ثلاثين يوما ، فالرؤية شرط أو سبب لوجوب الشهر ، وأجمع على ذلك السلف الصالح من صحابة وتابعين وأئمة مجتهدين ولم يلتفت أحد منهم إلى اعتماد الحساب سببا لوجوب أو جواز بدء الشهر الشرعي إلا ابن سريج الشافعي من المتقدمين نقلا عن ابن مقاتل ومن تبعهما من المتأخرين ، إذ يقولون باعتماد الحساب سببا كالرؤية إذا دل على اتجاه نور القمر بعد المحاق نحو سطح الأرض ومكثه مدة كافية لرؤيته مع البيان ، وكان هذا الحساب من موثوق بحسابهم بأن يكونوا جمعا يؤمن تواطؤهم على الخطأ . وأما الحساب للاجتماع تحقيقا أو تقريبا فقد أجمع الكل على رده إذ يتقدم على الهلال بيوم أو يومين ، وفيه إحداث شرع لم يأذن به الله . انتهى ملخص كلامهم .

هذا مع العلم بأن هؤلاء الذين يعتمدون الحساب المستوفى لشروطهم لم يسلم لهم دليل من أهدم غير الاستحسان لموافقته روح العصر كما يقولون .

وأين هذا الجمع من الفلكيين الحاسبين يا ترى ... ؟ حتى تتحقق هذه الثقة . . إني أعلن على رءوس الأشهاد أنه لا وجود له في أي حكومة إسلامية الآن . ومن يدعي الحساب فيها ولو كان من موظفي المراصد كمرصد حلوان مثلا فأنت يحوله عن جداول أجنبية بريطانية أو غيرها .

على أن الحساب لإمكان الرؤية قد دل على أن هذا الإمكان له ثلاث حالات : (١) إمكان مع الخفاء (٢) إمكان مع البيان (٣) إمكان متوسط بين الخفاء والبيان .

وقد اشترط المعتمدون للحساب (حالة الإمكان مع البيان) في أن يكون الحساب سببا لوجوب الشهر الشرعي عند عدم الرؤية لوجود نحو غيم . وأما في حالتي الخفاء والتوسط فيجوزون وقوع الرؤية فيهما بحيث لا ترد شهودها .

ونحن إذا سلمنا بأثبات الشهر الشرعي (بالحساب لإمكان الرؤية) في أبعد بلد إلى الغرب كمراكش ، ولا يكون ذلك إلا للضرورة كعند عدم تحقق الرؤية في جميع بلاد الإسلام لوجود غيم أو أي مانع آخر مع التماسها لابد أن نتمسك بأوكد حالة وهي (الإمكان مع التبين) وقد قالوا : إن شرطها ألا يقل قوس السبق عن (١٢ درجة) وأن لا يقل قوس المكث عن (١٠ درجات) بألا يقل زمن مكث القمر عن الأفق بعد غروب الشمس عن ثلثي ساعة .

مكتبتنا العربية

ثم قالوا باستحالة الرؤية إذا قل المكث عن (١٦ دقيقة) فى مثل عرض القاهرة و (٢٦ دقيقة) فى مثل عرض مراكش الذى هو (٣٦ درجة) وكلما زاد العرض زاد زمن المكث المشروط ، وينبغى أن ترد شهود الرؤية فى حالة الاستحالة ، وأما إذا بين الحساب أن قوس المكث يقل عن (١٠ درجات) الى (٤ درجات) فلا ترد الشهادة ، ويجوز إثبات الشهر بالرؤية لا بالحساب .

والخلاصة : أنه لا بد من إيجاد (جهاز حسابى فلكى) أعنى عددا من الحساب يؤمن تواطؤهم على الخطأ فى كل حكومة إسلامية أو (جمع واحد) تحت إدارة المؤتمر الإسلامى مثلا تكون وظيفتهم إنشاء جداول حسابيـة لكل ما يتعلق بتقويم الشمس والقمر من حسابات أوائل الشهور الشرعية والمدنية وأوقات الصلوات الخمس لجميع عروض البلاد الإسلامية وجالياتها ، بحيث تنشر هذه الجداول فى مبدأ كل سـنة ليمكن التمـاس الرؤية فى خصوص البلاد التى وضح من الحساب أن فيها مكثا صالحا الرؤية .

وبعد ذلك لا يبقى إلا عناية الحكومة التى يتحقق المكث بهـا من هذا الحساب بأن تأمر بالتمـاس الرؤية ببلادها ، ثم تعلن النتيجة على سائر الدول الإسلامية شهرا بشهر ، خصوصا فى شهرى رجب وشعبان حتى يضيق الأمر على شهرى رمضان وشوال . . . وبذا ترتفع الحيرة وتوحد الكلمة والله الموفق ؛

محمد أبو العلا البنا

مدرس الفلك فى الأزهر وتخصص القضاء الشرعى

الأزهر وثورة سنة ١٩١٩

جاء فى العدد السابق من هذه المجلة مقـال بهذا العنوان ، وذكر فضيلة كاتبه أنه لمـا قامت المظاهرة الـكبرى المسماة ـ بمظاهرة المحكمة العليا الشرعية ـ كان يحمل العلم شاب جلد محب لوطنه . . .

ولمـا أراد الجنود أن ينتزعوا منه العلم قال : لا أسلم العلم وفى عرق ينبض . .

والمعاصرون من الأزهريين يعرفون أن حامل العلم هذا هو كاتب المقال نفسه ، وهو فضيلة الأستاذ الـكبير الشيخ محمد الطنيخى مدير الوعظ والإرشاد بالأزهر . ولم يشأ أن يصرح فضيلته بذلك ، إيثارا لإنكار الذات وتواضعا منه . وتلك شيمه المجاهدين الصادقين .

ونحن نـكبر فيه هذا الخلق الـكريم ، ونسجل هذا إنصافا للتاريخ ؛

محمد أبو المـكارم — الواعظ العـام

مكتبتنا العربية

الاسلام والمجتمع

ألقيت هـذه المحاضرة فى سلسلة محاضرات « المؤتمر الاسلامى » بقاعة المحاضرات الكبرى بالأزهر يوم الأربعاء ١٥ ربيع الثانى ١٣٧٥ ـ ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٥٥ .

بسم الله الرحمن الرحيم .

* * *

كثير من المعاصرين بحاجة إلى تعرف رسالة الإسلام وعلاقته بالمجتمع ، وهى حاجة مستمرة تتجدد بتجدد الأجيال وتعاقب الزمن ، فأن ناشئة كل جيل يعوزهم أن يتلقوا عن كبارهم مالا يستغنون عنه ، وبخاصة ما يتصل بالناحية الدينية .

ولا شك أن تعـرف أحـكام الإسلام وعلاقته بالمجتمع خير حجـة فى الإقناع ، وفى الاجتذاب إلى التدين ، وإلى التعلق بالأهداف التى رسمها الله فى تشريعه ، ليكون المسلمون بهـ خير أمة أخرجت للناس .

وإذا كان التوجيه إلى علاقة الإسلام بالمجتمع بهذه المثابة ، فلا عجب أن تبادر الثورة المصرية الرشيدة الى تنظيم المؤتمر الإسـلامى ، كوسيلة من وسائل التوجيـه الى الغايات النبيلة التى رنت اليها عيون الثورة منذ نهض أبطالها فى استعداد للبذل والتضحية .

المنهج الاسلامى

سادتى :

يمكن أن ننظر فى إجمال الى التشريع الإسلامى ، وكيف وجه الى الناس ، وكيف وضع لهم منهج السير على ذلك التشريع .

كانت الدعوة الإسلامية جديدة على القوم ، والجديد تستريح اليه نفوس ، وتتردد فى قبوله نفوس .

لذلك سار التشريع سير تدرج ونمو ، فكانت توجه الأحكام الى الناس شيئا فشيئا . وكانت الأحكام غالبا تأتى عند مناسبات تقتضيها ، وأسئلة ترد بشأنها . ولم تمض ثلاث وعشرون سنة حتى اكتمل التشريع الإسلامى بما فيه من تفصيل وإجمال ، ثم ختم ذلك التشريع بقول الله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » .

مكتبتنا العربية

وكان المسلمون يوم ذاك ألوفا وألوفا بعد أن لم يكونوا ، وبعد أن كانوا آحادا وعشرات .

والمنهج الاسلامى — بوجه عام — يتألف من جانبين : الجانب الأول ايجابى وهو ما نسميه بالأوامر ، والثانى سلبى وهو ما نسميه بالنواهى ، فالايجابى طلب الفعل ، والسلبى نهى عن الفعل .

وقد اشتمل المنهج الاسلامى على جانب آخر من النظام التشريعى صيانة لهذه الأحكام كلها ، وتنبيها للغافلين عنها ، ورجوعا بهم الى حظيرة التدين إذا صرفهم عنه صارف من التهاون أو شواغل الحياة ، ذلك النظام الأخير ما نسميه بالزواجر .

والزواجر منها أدبى لين : وهو الترغيب بالوعود من جانب الله تعالى ، والترهيب بالوعيد والتخويف من عذاب الله تعالى ، والمفروض أن الطباع المرنة والنفوس الخيرة تستجيب للوعد ، وتخشى الوعيد ، فى غير تلكأ ولا معاندة . والمفروض كذلك أن نفوسا أخرى لا يلويها عن غيها إلا إيلام وقسوة ، ولهذا كان من الزواجر جانب مادى هو ما نسميه بالحدود والتعزيرات .

ففى الحدود والتعزيرات كبح للنفوس الشاردة ، والعبد يقرع بالعصا ، والحر تكفيه المقالة .

سادتى :

ونظرة الى المنهج الإسلامى الذى احتواه الكتاب والسنة بما اشتمل عليه من إيجاب وسلب ، ومن الزواجر بنوعيها — تدل تلك النظرة على أن هذا المنهج سياج يحفظ المرء من التدهور وراء الغايات ، ومن التعثر فى ظلمة الجهل بالخير والشر ، ويرقى بالمرء فى مدارج الإنسانية ، حتى ينهض الى المثالية التى تجعله بحق سيد دنياه ، والتى فرضت فيه ليكون خليفة فى الأرض كما حدث الله بذلك ملائكته : إنى جاعل فى الأرض خليفة .

وكان المحدث عنه هو الإنسان الأول الذى رفع الله من قدره بالعلم ، ونبه ملائكته الى المنزلة التى سيستقبلها بعد تسليحه بالعلم « وعلم آدم الأسماء كلها » .

وبالعلم أصبحت لآدم قدسية سجدت له من أجلها الملائكة أجمعون . والعلم السماوى هو قبل غيره ذخيرة الدنيا ، أمد الله أنبياءه بشىء منها ، وادخر لنا أوفر نصيب حملته إلينا رسالة الإسلام ، وانطوى عليه إجمالا وتفصيلا القرآن ، وبينه لنا وعلمنا ما فيه صادق أمين ، ورسول كريم : هو محمد بن عبد الله ، صلوات الله عليه وعلى جميع النبيين .

مكتبتنا العربية

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .

سادتى :

تتبينون من هذا أن المنهج الإسلامى كان تكميلا لما سبق ، وكان علاجا جديدا لنقائص الإنسانية ، فهو مشعل يضىء لها السبيل ، ويرافقها فيما بقى من أجل الدنيا ، لتكون على بينة من هداها وغيها ، ولئلا يكون للناس على الله حجة .

قصد المنهج الإسلامى إلى بناء مجتمع صالح ، فتعهد الناس بالتربية من أول اتصالهم بالحياة ، لتكون لبنات المجتمع قوية التكوين ، قوية التماسك . ثم صقل هذا المجتمع كله بصقال الحكمة ، وحاطه بنظم تحفظ تماسكه ، وتكفل سلامته ، وتجعل المسلمين يدا واحدة على من عاداهم ، بل تجعلهم جسدا واحدا ، إذا اشتكى عضو منه تألمت له واشتكت معه بقية الأعضاء .

والوسائل التى رسمها الله فى تربية الفرد والمجتمع ماثلة فى العبادات كلها ، والمعاملات بأنواعها ، وفى التعويضات وفى الجنايات والحدود ، وفى الشهادات والأقضية ، وفى الحروب والمعاهدات ، وفى علاقة الحاكم بالمحكوم ، وفى كل ما ينطوى تحت الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وكما لا شك فى أن الغذاء الصالح ينشئ أجساما قوية ، تقاوم العلة ، وتدفع العدوى ، لا شك فى أن التربية الدينية والإسلامية بخاصة أقوم للأفراد ، وأضمن لصلاح المجتمع .

فهى تربية وضع الله منهجها ، ورسم خططها ، وأكمل أبوابها ، فلا يمكن أن تغنى عنها أو تدانيها ثقافة وضعية مهما بلغت من كمال ، فأن الثقافات الوضعية من عمل الناس ، والثقافة الإسلامية تشريع رب الناس ، وتلك تمليها الحاجة الطارئة ، وتخضع للتجربة ، والحاجة تتغير ، فتكشف التجربة عن عدم ملاءمة هذه الثقافة ، وأنها لم تعد صالحة للبقاء .

أما الثقافة الإسلامية ، فلأنها من تقدير العزيز العليم ، تلائم كل زمن ، وتتسع لكل جيل ، وعليها يقوم النظام الكامل للفرد وللجماعة .

مكتبتنا العربية

« لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ـ صنع الله الذى أتقن كل شيء » .

وإن ظن أن الحوادث وتطور الزمن لا يتسع لها المنهج الإسلامى، فذلك وهم تنقصه الروية ، فأن فى نصوص الشريعة نصوصا تفصيلية ، ونصوصا مجملة . وفى الشريعة قواعد مدخرة للاهتداء بها والانتفاع بتطبيقها على الجزئيات العارضة ، وهذا يطرد فى حياة الإنسان إلى أن يفارق دنياه ، فأن غاب عن الأفهام حكم لحادث جديد ، ففى النصوص المجملة ، وفى القواعد العامة ، ما يكشف عن هذا الحكم للمجتهدين من أهل الذكر .

ومثل هذا واضح فى القانون الوضعى ، وهو من عمل الإنسان لنفسه ، فأن القضاة كثيرا ما تضيق بهم المواد التفصيلية ، فيرجعون إلى قواعد عامة ، ويستنبطون منها ما يحتاجون .

والاجتهاد وظيفة العقول الناضجة ، والإسلام يترك للعقل مجاله ، ويحترم اجتهاده ، إذا تجرد من الهوى .

ومن أجل هذا ترى لمنهج الإسلامى كفيلا بكل ما يتصل بالفرد : فى خلوته ، وفى أسرته ، وفى رفاقه ، ومع جيرانه ، وفى سفره وإقامته ، وفى شغله وفراغه ، ومع من يعرف ومن لا يعرف ، ومع مواطنيه وغير مواطنيه .

وكذلك الشأن فى حياة الجماعة ، وضع لها التشريع الإسلامى إطارا من النظام العام ، رسم فيه الحقوق والواجبات ، وصلة الحكام بالمحكومين ، وصلة الأغنياء بالفقراء ، وصلة الدولة بالدولة ، وركز فى الجماعة روح الإخاء والمساواة ، والتعاون والتعاطف ، ونصب لها أهدافا ، وأذكى فيها الغيرة على الكرامة ، ودفعها الى التضحية ، واستنهضها الى حماية الذمار ، والى الرباط على الحدود ، فى يقظة واستعداد : لإرهاب الطامعين ، وصد المغيرين .

والقرآن والحديث يتسعان غاية الاتساع لبيان ذلك كله . والإسلام فى تشريعه لم يقف عند التهذيب الروحى وحده ، بل لم ينقص من النظام المادى شيئا ، فتناول الحياة من جانبيها ، وعلمنا أن الدنيا مطلوبة لنفسها ، وأنها سبيل الى الآخرة ونعيمها المقيم ، وما ذم لنا الدنيا إلا تحذيرا من ناحيتها المخيفة ، وهى إغراؤها للانسان بلهوها ، وشغلها

مكتبتنا العربية

إياه بهزلها عن جدها ، وفيما عدا هذا فهى متاع ونعمة ، والله يمتن علينا بها ، ويطالب أن نتمتع بحلالها ، وننصرف عن حرامها ، وأن نشكره على نعمائه فيها ، ليكون متاعنا بها موصولا بمتاع الآخرة .

« يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون » « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » .

وبهذا يتبين أن الإسلام دين الحياة والخلود ، لا دين الانكماش والجمود كما زعم زاعمون ! !

وإذ كان من مميزات هذا الدين أنه يحتكم الى العقول البريئة من الدخل ، فهو يحثنا على التفقه والنظر ، مطمئنا الى أن التفقه الرشيد والنظر السديد ، ينزلان بالمرء على حكم الإسلام ، فإن حجة الإسلام قائمة ، وإن الحق أغلب ، وان الطاعة للحق أحب للعقول وأقرب ، إلا من حالت بينه وبين الحق جهالة متأصلة ، أو ضلالة متغلغلة ، فحينذاك تعمى البصيرة ، وتستحيل الهداية « وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون » .

وقد عاب الإسلام على أناس اهمال مواهبهم الإنسانية ، فهم لا يتفقهون ولا يسمعون ، واذا تفقهوا أو سمعوا فهم لا يطيعون ، وهذه مكابرة تنزل بالمرء عن مرتبة الإنسان ، فلم يكن كثيرا عليهم أن يعتبرهم القرآن كالأنعام أو هم أضل ، وأن يعتبرهم كشر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون .

وفى هذا التنديد والتشنيع على مهملى العقول فى تفهم دعوة الإسلام ، توجيه أكيد لنا أن نتحاشى الجمود ، وأن ننتفع بأفهامنا ومواهبنا ، فى غير اسراف ولا تبذير « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » .

سادتى :

نرى للاسلام غاية فوق تلك الغايات الثقافية ، وأراها ملاك الغايات للكمال الإنسانى ، تلك هى تربية الضمير فى النفوس على زاد من التقوى ، فالضمير هيمنة يقظة تتصل بالإنسان فى كل آونته ، تدفع من نفسه هواجس الشر ، وتقاوم النزعات الغوية ، وتوجه الى الخير ، ويكون به الانسان انسانا موضوعيا لا انسانا شكليا .

مكتبتنا العربية

والقرآن حينما يخاطب الانسان بوعده أو وعيده ، وحينما يمتدح الخيرين ، و يقدح فى الأشرار، فانه يقصد ـ أولا ـ توجيه المرء الى الاعتدال، و يقصد فوق هذا اقتلاع بواعث الشر من نفسه ، وتأصيل روح الخير فى طباعه ، وأن يكون الانسان على نفسه بصيرة ، فلا يأخذه نفاق ، ولا يجنح الى رياء ، ولا يكون أنانيا ولا جبارا عصيا .

وانظر اليه حينما يقول : «واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى» ، ففى هذا دفع الى التجرد من عصبية القرابة ، وتوجيه الى العدل فى ذاته ، ولو كان ضد القريب من اللحم والدم ، وهذه وظيفة الضمير .

وانظر كذلك الى قوله : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » .

ففى هذا كذلك توجيه الى السمو وعدم التأثر بالخصومات ، والى الترفع عن الحزازات ، والحكم بالعدل ولو كان فى جانب العدو .

ولا شك أن العدل على هذا النحو من وظيفة الضمير . ومن قول الرسول صلوات الله عليه فى هذا الباب : «استفت قلبك وان أفتاك الناس وأفتوك» ، وكثيرا ما يكل الاسلام أبناءه الى ضمائرهم فى شئون هامة ، فقد حدث أن رجلا من أعداء الاسلام وقع أثناء حرب مع المسلمين فى يد بعضهم . فلاذ بشجرة وأعلن الشهادة ، ولكن المسلمين عاجلوه بالقتل ، ظنا منهم أنه يخادعهم باسلامه ، وقد تأثر لذلك النبى صلى الله عليه وسلم وعاب على من قتله ، وعتب عليه فى شدة ، وقال له : « هلا شققت عن قلبه » ففى هذا اكتفاء من الرجل بما أظهره ، واعتماد على ضميره فى صدق ما قال .

وفى باب الدعاوى بالأموال إذا لم يجد المدعى بينة نرجع الى يمين المدعى عليه ، فاذا حلف على الإنكار فلا قضاء عليه ، ونكتفى بتصديقه ظاهرا ، ونعتمد على ضميره فى صدق ما قال .

ومما يوضح أهمية الضمير أن توبة المذنب من ذنوبه مفتوح أمامها الباب فى كل ساعاته . وكان من رحمة الله تعالى ـ حينما توعد ابليس بنى آدم بأنه سيغويهم أجمعين ـ أن الله وعد بعزته وجلاله ألا يغلق عن ابن آدم باب التوبة مادامت فيه روح ، فهذا توسع فى قبول التوبة ، وبها تسقط الذنوب .

ومع هذا التوسع فى الفضل فقد اشترط الله على عبده أن تكون توبته

مكتبتنا العربية

عن ضمير ، وذلك أن أركان التوبة التى تغفر الذنوب جميعا هى : ندم على مافات ، وإقلاع عن الذنب ، وعزم على عدم العود .

فاشتراط الندم على مافات يعتبر مطالبة بأن تكون التوبة عن ضمير ليخرج الإنسان من مآثمه ظاهرا وباطنا ، وليدخل نظيفا فى المجتمع الصالح . إذا توفر الضمير سقطت مآثمه ، ولو كان فيها قتل أو شرك « إن الله يغفر الذنوب جميعا » . « إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات » .

واذا كثر أصحاب الضمير الحى فى أمة من الأمم قلت الجرائم فى محيطها ، وظهرت روح الخير فى صفوفها . وأصحاب الضمير هم الصالحون لقيادة الأمة ، وهم المطلوبون فى دعوات الصالحين : « اللهم ول أمورنا خيارنا ، ولا تول أمورنا شرارنا » .

وخير تصوير لصاحب الضمير قول الرسول ـ صلوات الله عليه ـ لمن سأله عن معنى الإحسان : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فأن لم تكن تراه فأنه يراك » .

ولست أقصد من هذا كله أن الضمير دائما وليد الثقافة الإسلامية فحسب ، وانما أقول : ان الثقافة الإسلامية كما تربى ضميرا موجودا ، تنشئ ضميرا كان مفقودا .

ورب ضمير حى فى قلب رجل أمى . وهذا فلاحنا الذى يعيش على الفطرة ، ولم تخالطه تقاليد المدن ، تراه يحتشم مما يعيبه ، ويتحرج من الشبهة فى دينه ، ويغدو ويروح بين حقله وبيته مصليا وصائما ، غير مسىء الى أحد ، لا بلسانه ولا بيده ، وهو لا يعرف من الثقافة غير كلمات يسمعها من خطيب المسجد ، أو مايتطاير اليه من ذكر الحرام والحلال ، والعقاب والثواب ، فهل لذلك من سلطان سوى سلطان الضمير ؟ ؟

وهناك صاحب ثقافة واسعة دينية أو مدنية أو كليهما ، وهو أشد خروجا على الدين ، واستهانة بآدابه ، ولا تعليل لهـذا الا أنها فطرة خبيثة ، ونفس متمردة ، غاب عنها الضمير ، فنزعت الى الانحراف ، وذهبت ثقافتها أدراج الرياح ، « والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه ، والذى خبث لا يخرج الا نكدا » .

وتباين الناس ثقافة وضميرا ، وهداية وشقاء ، ليس لقصور فى أحكام الإسلام ، ولا لسبب عائد اليه . ولكن هناك توجيه الى الإسلام ممن يملكون التوجيه . فعلى الموجهين أن يضاعفوا نشاطهم ، ويواصلوا دعوتهم ، وألا يكترثوا بالمقاومات من أصحاب الأغراض ، فدعوة الله الى الخير تكلف الدعاة متاعب ، وتحملهم جهودا ، ولا يضيرهم أن يند عن دعوتهم من ينزع الى التمرد والتشكيك ، وقديما قال الله لرسوله : « ان عليك إلا البلاغ » .

مكتبتنا العربية

وهناك اتجاه مطلوب من الناس الى دعوة الله ، ولكن هذا الاتجاه أمر يحتاج الى ذوى السلطان وأصحاب الحكم فى الشعوب ، فعليهم فى كل بلد اسلامى أن يتعاونوا فى التوجيه ، وأن يأخذوا المتوانين فى السمع والطاعة بما خولهم الله من سلطان ، والله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

واذا كان من عمل الحكام ردع العابثين بالأمن ، وتنفيذ العقوبات فيهم ، حماية للمجتمع مما يهدد نظامه ، فمن عملهم كذلك حماية الأمن الدينى ، وصيانة العقائد والأحكام والآداب ، فهذا من ذاك أو أشد « وان الله سائل كل راع عن رعيته » .

وحكومة الثورة فى مصر ـ والحمد لله ـ واعية لواجبها الدينى أكثر من وعيها للواجب الاجتماعى ، وهى جادة فى التوجيه الى ما تقوم عليه الأخلاق وتكوين المجتمع الصالح .

سادتى :

الإسلام لا يأبى الثقافة المدنية ، بل هى من صميمه ، ومن أهم غاياته ، فهو يحض على التزود من كل علم ينفع ، وعلى طلب المعرفة والعلم ولو من الصين ، لنعرف ما فى الدنيا من فنون وحضارة ، وليأخذ المسلمون عن غيرهم ما ليس عندهم « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » . « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » . « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها » . « قل سيروا فى الأرض ثم انظروا » .

ومن هذا ونحوه يبدو أن الإسلام يدعو الى كل ثقافة مدنية وأخذها عن أهلها ، على ألا تعارض الإسلام فى عقيدته ، ولا فى أحكامه .

ويبدو كذلك أن الإسلام دين ودنيا معا ، دين سليم من الدخل ومن المتاجرة باسمه ، والتضليل على حسابه ، لإثارة الفتن بين صفوف الأمة .

والإسلام دنيا فسيحة مهذبة متخلقة بالآداب الكريمة ، ومستجيبة لحكم الضمير ، والدين من الدنيا بمنزلة الروح من الجسد ، فأن تكن المدنية بمختلف ثقافاتها لترقية الحياة المادية ، فأن الدين روح لهذه الحياة ، وإذا قامت الدنيا على غير دين ، فهى بناء منهار ، والله تعالى يقول : « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ، وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم » .

فليس لزاعم أن يزعم أن الثقافة الإسلامية شىء ثانوى إلى جانب الثقافة المدنية ، فلو صح

مكتبتنا العربية

ذلك لأوحى الله الى محمد نظريات الهندسة ونماذجها ، وقواعد الحساب وتمريناته ، ومبادئ الكيمياء وتجاربها ، ومذاهب الفلسفة وتكهناتها ، وهكذا . ولكن الله لم يفعل ، بل أوحى الى رسوله خير نماذج يتربى عليها الضمير ، وهو روح المجتمع ، أوحى اليه — قرآنا عربيا غير ذى عوج — .

سادتى :

شاء الله أن تكون الثقافة الإسلامية شرقية ، باعتبار مصدرها الأول : مكة والمدينة . وإن كان الإسلام للدنيا جميعا ، وقد ذكر الله فى كتابه مكة باسم البلد الأمين ، ومجدها بذكر الكعبة ، وبذكر البيت العتيق ، والبيت الحرام ، والمسجد الحرام ، وبذكر عرفات ومقام ابراهيم .

وذكر الله فى كتابه المدينة باسم يثرب ، ومجدها بذكر أهلها الأنصار ومواقفهم وتضحياتهم بالأرواح والأموال فى نصرة الإسلام ، وبذكر مسجدها الذى بنى على التقوى من أول يوم ، وبذكر رجالها الذين يحبون أن يتطهروا . وستظل مكة والمدينة كما شاء الله لهما مجدا وقداسة وخلودا .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وقد ذكر الله فى كتابه مصر فى حديث يوسف لأبويه : « ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين » وشاء الله لمصر أن تكون بأزهرها مشرقا ضاحيا للدعوة الإسلامية بعد مكة والمدينة ، حتى تبوأت مكان الزعامة بين شعوب الشرق عامة .

أفلا يحق لمصر أن تعتز بذكر القرآن لها ، وأن تفخر بأزهرها الذى سبقت به إلى صدارة التاريخ .

الأزهر — فى تواضعه — حمل راية الإسلام خفاقة ، وشق بها طريقا إلى مجاهل الدنيا ، ودعا بدعوة القرآن فى دأب وجلادة أكثر من عشرة قرون .

فمنذا الذى يجحد على الأزهر سابقته فى الإسلام ونشر ثقافته ، إلا واحد من اثنين : متعصب غير مسلم ولا حيلة لنا فيه ، أو مسلم فى قلبه مرض ، وهذا إلى الله ، إن شاء شفاه من علته ، وإن شاء زاده مرضا على مرض .

مكتبتنا العربية

من يظن أن الأزهر فى عهد الثورة موضع القيل والقال ، فهو مرجف يوقظ الفتنة ، ويفرق الصفوف .

فليعلم هؤلاء المرجفون أن الأزهر فى عهد الثورة أعز مما كان . وليعلموا أن الثورة قامت لاعلاء مجد مصر وتربية النفوس والضمائر فى شعبها ، فلا يرضيها أن تخدش فى الأزهر جانبا شامخا من مجد مصر ، وهى عارفة أن الأزهر وحده هو الأداة الأولى فى التربية الخلقية وانشاء المجتمع الصالح الذى قامت الثورة لإيجاده .

وليعلم هؤلاء المرجفون أن الثورة بصيرة بأهدافها ، فليست بحاجة إلى من يقودها خطوة ثانية ولا ثالثة !! .

وليعلم هؤلاء المرجفون ـ أخيرا ـ أن الثورة ترفع الراية ، فى هذا المؤتمر الإسلامى ، لتجمع حولها الصفوف والشعوب ، وتوثق الإخاء ، وتقضى على التفريق والمفرقين ، فليستريحوا وليستريحوا .

« ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا » .

وأخيرا أشكركم . والسلام عليكم ورحمة الله .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

السياسة

يقول غاندى الزعيم الهندى :

ليست السياسة ذلك اللهو كما يفهمها الناس ، وإنما هى توسيع دائرة الفضائل المنزلية حتى تشمل الوطن . وهى ـ فى الوقت نفسه ـ وسيلة لتجديد الروح فى المواطنين .

مكتبتنا العربية

كلمة فضيلة الاستاذ الاكبر

الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر
فى جمعية المحافظة على القرآن الكريم بدمنهور

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه .

السيد نائب حاكم الإقليم — السادة الأفاضل — إخوانى وأبنائى :

السلام عليكم ورحمة الله — أما بعد ، فأنى أشكر لكم جميل ترحيبكم ، وكريم حفاوتكم ، وهذا الاستقبال الرائع الذى هو من أقوى المثل التى يغتبط بها و يغبط عليها فى مجالات الكرامة والتكريم ، هذا الاستقبال الذى هو بحق من أسمى وجوه التعبير عن الشعور الحى ، والإخلاص المتين ، والتقدير العظيم للأزهر ورجاله والقائمين عليه .

حقا ان هذا الاستقبال الكريم ليدل أصدق دلالة على ماتنطوى عليه قلوبكم الطاهرة المؤمنة من الحب الخالص لتعاليم الأزهر وثقافته ، التى هى تخليد وتمجيد للثقافة الإسلامية ، والتى هى محافظة وكمال عناية بالصالح النافع و بكل ما هو ضرورى لا بد منه للطالب الأزهرى ، من العلوم الكونية وأنواع الثقافات المدنية .

أيها السادة :

وأحيى فيكم هذه العاطفة الدينية الطيبة ، وهذه الغيرة الحميدة الخيرة ، وهذا الحرص الجميل على الاحتفاظ لمدينة دمنهور بمعهد من المعاهد الدينية الإسلامية .

دمنهور هذه المدينة الطيبة الواعية النابهة ، عاصمة مديرية البحيرة العظيمة ، هى التى — الى جانب قوتها ونشاطها فى مجال العمل والتعمير ، ومجال الإنشاء والانتاج فى جميع نواحى الحياة الاقتصادية تجارية كانت أوصناعية — قد أنبتت ، وأنبتت قراها وسائر البلدان التابعة لها — لخير مصر ، وخير الأقطار الإسلامية التى ترنو إلى مصر — علماء دينيين فطاحل ، تخرجوا فى الأزهر فى عصوره القديمة وعصره الحديث .

و إنه لا تزال أسماء سليم البشرى ، ومحمد عبده ، وراضى ، والبحراوى ، ومن إليهم من العلماء الأعلام ، لا تزال هذه الأسماء تبعث النهضة ، وتحفز الهمة فى نفوس العلماء

مكتبتنا العربية

والمتعلمين ، ولا تزال أصوات معارفهم – فى دروسهم وتقريراتهم وبياناتهم – يرن صداها فى أذن الأزهر والأزهريين .

ولولا أن حركة التوسع فى إنشاء المعاهد الدينية الإسلامية كانت ضعيفة فى العهود الماضية ، ولولا أن كثيرا من بلاد مديرية البحيرة كان قريبا من مدينة الإسكندرية التى أنشئ فيها أول معهد أزهرى نظامى قد سد حاجتها وحاجة البلاد القريبة منها فى التعليم الدينى القوى – لولا هذا كله لكانت مدينة دمنهور من أسبق العواصم التى تمتع بمعاهد أزهرية عظيمة .

على أن مدينة دمنهور قد كتب الله لها الحظ السعيد ، بمجاء معهدها وليدا للنهضة المباركة : نهضة الثورة الحاضرة ، التى عملت وتعمل وستعمل دائما – بمشيئة الله وبعناية الله – على نشر معاهد الأزهر فى كل مكان ، وعلى التمكين لها فى مختلف البلاد ، وعلى تثبيت دعائمها ، وتقوية أركانها ، لتكون دائما منارا للهدى والإرشاد ، وعصاما من دعوة الزيغ والالحاد . وقضاء مبرما على ميول الأباحية الممقوتة والتحلل الخلق الموذول .

نعم . ولتكون دائما كعبة يقصد إليها كل من يريد تقويم أخلاق النشء وتهذيبه بالمبادئ الكريمة . وتربيته بأصول التربية الدينية الصحيحة .

أيها السادة : أيها الإخوان : أيها الأبناء :

إن الأزهر اليوم يعمل مخلصا على أن يجدد نفسه ، وهو جاد كل الجد فى أن يجمع قوته ، وينهض نهضته ، ليساير النهضات الحديثة ، لا ، بل ليسابق هذه النهضات الحديثة ، وهو لذلك يبذل كل جهوده لينفض عن نفسه ذلك الغبار الذى أثارته عليه وعلى البلاد زوابع تيارات سياسية عاتية ، ولينزح عن جوه ذلك القتام الذى خيم فى أفقه من آثار عهود ظالمة مظلمة ، وليسفر بصبحه الوضاح . فينير ما بين المشرقين ، ويهدى للسعادتين ، بما يحيى من آثار السلف ، وبما يستعيد من أسباب المجد الحق : مجد الإسلام فى عهده الأول ، وفيما تلا ذلك العهد من عهود خصبة زاهرة .

اخوانى . أبنائى :

إن الأزهر له أعداء فى داخل البلاد وخارجها ، هم فى الحقيقة ليسوا أعداء له فحسب . وإنما هم أعداء الدين الإسلامى قبل كل شىء ، إنهم يصوبون سهامهم المسمومة – ولكنها مدحورة بإذن الله – يصوبونها الى الأزهر ، لأنهم يعلمون حق العلم أن الأزهر هو الراعى ، وهو الحامى لهذا الدين الإسلامى الحنيف .

مكتبتنا العربية

إن ناسا من أهل جلدتنا ، ومن المنتسبين الى ديننا ، يدعون الى آراء وأفكار يزعمونها تقدمية ، وأنها من مقتضيات المدنية العصرية ، ويجدون ناسا حفافا يتبعونهم ، ممن يطيرون مع كل طائر ، ويجرون وراء كل ناعق ، والله يعلم أن ما يدعون اليه وما يجرى وراءهم فيه خفاف الأحلام ليس من التمدن ولا من التقدم فى قليل أو كثير .

ان أوربا الناهضة ـ أوربا المتحضرة المتحررة ، أوربا هذه التى يريد بعض الناس أن يلتقى عنها كل شىء ، وأن يتبع سيرها فى كل خطوة ، لم تكن نهضتها ولا تحررها ولا تقدمها بدعوات الزيغ والتحلل والإلحاد ، ولم تكن نهضتها ولا تحررها ولا تقدمها بسبب أن أهلها يلبسون القبعة ، أو أنهم يرتدون البنطلون والسترة ، أو أن كثيرا منهم ومن أهل أمريكا ـ الذين كانوا فى بلادنا أيام الحرب وفى أوقات القيظ ـ كانوا يقتصرون فى لباسهم على القميص فاقد الذراعين ، وعلى البنطلون القصير الذى يكشف عن الساقين وما فوق الركبتين . لم يكن تقدم أوربا بهذا ، وإنما كان بالجد والنشاط فى مجال الصناعة ، وانما كان بالتفكير الدائم المتواصل فى تسخير القوى الطبيعية التى خلقها الله فى الأرض واستخدامها فى أعمال الإنشاء والكشف والإنتاج ، فاذا كنا نريد التقدم واللحاق بما تقدمت وارتقت أوربا ، فانما هو الجد والحزم والنشاط ونبذ المظاهر الفارغة ، والصور الجوفاء ، والعناية كل العناية باللب والجوهر فى جميع الأعمال التى يقوم بها صلاح الأمة وسعادة الوطن .

هذا كان شأن سلفنا الصالح الماجد فى عصور الاسلام الأولى . عصور الهدى وعصور النور ، وهذا هو الذى نبه اليه وحث بقوة عليه ديننا الاسلامى الحنيف ، نبه اليه وأوجبه وحتمه قبل أن تعرفه أو تتنبه اليه أوربا بقرون وقرون « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » ٩

مكتبتنا العربية

نصيحة أبوية

لفضيلة الأستاذ الأكبر

في احتفال معهد دمنهور الديني باستقبال فضيلته

أبنائي :

السلام عليكم ورحمة الله .

أما بعد . فإن الله تبارك وتعالى قد أنعم عليكم في هذه الحياة بأكرم نعمة ، ووجهكم فيها أحسن وجهة ، وهيأ لكم السبيل لتكونوا أهل دينه ، وحفاظ شريعته ، التي فيها ضمان سعادة الدنيا والآخرة ، فعليكم أن ترعوا هذه النعمة وتحفظوها ، وتحوطوها بالشكر والضراعة الى الله أن يشملكم بخيرها ، وأن يزيدكم فيها تثبيتا وتمكينا .

عليكم أن تتجملوا بمحاسن هذه الشريعة وأخلاقها الكريمة ، وأن تبصروا بأحكامها السمحة السهلة أهليكم وذويكم وسائر المواطنين ، بالرفق واللين ، والحكمة والموعظة الحسنة ، واحذروا في جميع أعمالكم ومعاملاتكم التعسف والقسوة ، وتجنبوا الكبرياء والغطرسة ، ثم احذروا أن يدخل الشيطان الى نفوسكم من مداخل الغرور أو النفاق أو الرياء . واعملوا على أن يكون جدكم وجهودكم - التي تبذلونها في سبيل التعلم والتعليم - جهادا في الله ، ولإعلاء كلمة الله ، تأتكم الدنيا صاغرة ، وتنالوا بذلك سعادة الآخرة .

أسأل الله العلي الكبير أن يهديكم ويوفقكم ، ويرد عنكم حسد الحاسدين ، وكيد الكائدين ، وزيغ الملحدين . انه سميع الدعاء .

والسلام عليكم ورحمة الله ،

مكتبتنا العربية

كعبة المسلمين الثانية

نعم هو الأزهر حصن الثقافة الإسلامية ، وحارس اللغة العربية ، وأعرق إحدى معاقل العلمية و أقدمها ، له تاريخ مجيد عرفت مصر و بلاد الشرق فضله فيما مر بها من أحداث سياسية واجتماعية كان له فيها نصيب التوجيه والبناء ، وقدرته الأمم الإسلامية حين أوفدت اليه أبناءها ليتعلموا أصول الدين وأحكام الشريعة ولغة القرآن ، كي يعودوا الى بلادهم وقد ارتووا من منهله العذب ، فيحيوا النفوس الميتة ، وينيروا العقول المظلمة ، ويعلموا الناس دينهم القويم ، ويدعوهم الى الخلق الكريم .

ولن ننسى فضل الأزهر في اعداد الجهابذة أمثال رفاعة الطهطاوي ، والشيخ الامام ، وسعد زغلول ، وأسلافهم من أفاضل العلماء .

هذا هو الأزهر كعبة المسلمين الثانية ، ومفخرة المصريين الباقية ، وحامي حمى الإسلام ، وحافظ ما أتى به من أحكام ، وحمزة الوصل بين البلاد الإسلامية ، ومنارة مصر الأقطار الشرقية ، فعلينا أن نحفظ كيانه ، وندعم بنيانه ، ونصون أركانه ، ونعين على أداء مهمته .

هذا لمناسبة ما سمعنا وقرأنا من اقتراحات ترمي الى تفكيك الجامعة الأزهرية ، هذا التراث في النهاية .

ن بتوحيد جهات التعليم فاتهم أنه قد تربى في المدارس أجيال كثيرة ، آية أو عرف حديثا أو فهم حكما . وما لدى بعضهم من معلومات ؤلئك الذين نبتوا في الأزهر ودرسوا علومه . وحذقوا فنونه . مة جميعا الى هذه المدارس المدنية ما وجدنا حافظا لكتاب لا ملما بأحكامه .

عو الى الأساءة للأزهر ، ولتعالج هذا الفساد بكل

مكتبتنا العربية

ما زال منتشرا فى أنحاء البلاد ، ولتقاوم الرذيلة التى أنشبت أظفارها فى البيت والشارع ، والمدرسة والنادى ، وسائر الأماكن عامة أو خاصـــة ، ولتحارب الوجودية والشيوعية والمبادئ الهدامة ، ولتضرب فى معاقل الفساد بدل أن تهدم هذا الصرح الشامخ : الأزهر ، موطن الصلاح والاصلاح .

نعم أصلحوا الجامعـة الأزهرية ودعموها ، وأبقوا على هـــذه المفخرة الاسلامية ولا تمسوها ، ووجهوا جهودكم لاصلاح نواحى الفساد وما أكثرها ، واحذروا أن تقدموا للصهيونية مادة تتعيش منها ، وتقيم عليها صرح دعايتها المسمومة ، وتتخـذ منها سلاحا تقطع به علاقتنا بالعالم الاسلامى .

أقول هذا وأنا مطمئن الى أن رجال الثورة الذين بدءوا ثورتهم باسم الله ، وتعاهدوا على كتاب الله ، ووضعوه على صدورهم فى مستهل حركتهم ، لن يستجيبوا لهذه الأقلام ، ولن يمسوا هذا الصرح الشامخ الا بالتدعيم والتقوية .

والله أسأل أن يمدنا بقوته ، ويعزنا بعزته ، ويدفع عنا الشرور والبلاء ، وينصرنا على جميع الأعداء ؛

محمد على عبد العزيز السقنقيرى

المحـامى ونائب منوف السابق

الشرق والغرب

قال الشاعر الهندى رابندرانات تاغور للصحفى الإيطالى أولدو سورانى :

« أعتقد دائما أن المدنيتين ـ الشرقية والغربية ـ تستطيعان أن تبقيا متميزتين الواحدة عن الأخرى ، ويجب أن تبقيا كذلك ، وبالوقت نفسه يجب أن تكمل كل واحدة منهما ما فى الأخرى من نقص ، وأن تتلاءم معها » .

مكتبتنا العربية

خطوة ثانية

فى اتجاه عكسى لا تجاه الدكتور طه

الأزهر الشريف حصن اللغة العربية ، لأن العلوم تدرس فى الأزهر باللغة العربية ، وقواعد اللغة تدرس بتوسع ، لأنها لغة القرآن ، ومصر تشكو مر الشكوى من ضعف طلبة معاهد وزارة التربية والتعليم وخريجيها فى اللغة العربية . ولغة العلوم الإسلامية فى الأزهر لغة عربية فصيحة عنى بها المؤلفون القدامى ، لكى تمشى مع لغة القرآن القرشية ، وقد تكون من مجموع ذلك مدرسة فى اللهجة العربية القرشية الخالصة التى نزل بها القرآن ، والأزهر مازال عاملا بهذا على تقارب اللهجات العربية وتوحيدها والسير بها نحو لهجة واحدة ، هى التى تسير عليها مدرسة علماء الأزهر وتدرس بها العلوم الأزهرية .

يقول الدكتور طه حسين : إن الأزهر وسيلة للتباين واختلاف المشارب وصعوبة التفاهم بين طبقات الأمة . وهذا غير صحيح ، وهو ترديد لما كان يقال قبل تطور الأزهر ، وقبل أن يشمله المصلحون من أمثال الشيخ محمد عبده باصلاحاتهم ، وقبل أن تدخله العلوم الحديثة . وبالرغم من ضعف حجة الدكتور طه حسين فى هذا ، فأننا نراه ينظر الى الأزهر الشريف نظرة ضيقة إقليمية ، تحط من قدر الأزهر وتنزل به الى غير مستواه ، حتى يضعف شأنه ، ويسهل عليه وعلى باقى أعداء الأزهر ما يريدون . والواقع أن الأزهر من أكبر الدعائم فى توطيد عرى الأخوة حتى بين الشعوب ، فهو يعمل جاهدا على جمع شمل الأمة الإسلامية العظيمة الانتشار فى بقاع الأرض حول لغة واحدة قوية متينة هى اللغة العربية ، وحول دين واحد له مبادئه التى تدعو الى الوحدة الإنسانية ، وهو الدين الإسلامى الحنيف .

فالأزهر حصن العلوم الإسلامية ، ومرجع مشهود له لدى جميع البلاد الإسلامية وغير الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها ، وحوله تتوحد المشارب ، وتتقابل النفوس ، وهو يقوم بتعليم مبادئ الإسلام فى صمت وفى صبر وجلد من قديم الدهور .

مكتبتنا العربية

وكانت المساجد قبل الأزهر بيوت العلم ، ولما انشغل الناس بأمور الدنيا فى العصور المتأخرة انحصر التعليم فى الأزهر الشريف الذى أصبح الآن له معاهده وكلياته وفروعه ، وإذا اشتاق المرء الآن الى الموعظة ، وتعطشت نفسه الى الإرشاد ، وجد ذلك على أيدى رجال الأزهر من وعاظ المساجد ، وهم يقدمون للناس العلم والوعظ فى شتى المسائل والأمور بما يشفى الصدور ، ويزيل الكرب ، ويجدد الإيمان .

إن الحكمة من قيام الأزهر الشريف هى اضطلاعه بعلوم القرآن وتدريسها . والحاجة الى ذلك ما زالت قائمة بل زادت الآن عن ذى قبل ، فما أحوجنا بل ما أحوج الإنسانية الى هذه العلوم الإسلامية التى يحمل رايتها الأزهر وحده فى العالم الإسلامى ، والأزهر إنما ينشر مبادئ قويمة وجديرة بمزاحمة تلك المبادئ المنتشرة فى العالم فى هذه الآونة ، ولو قدر للأزهر الشريف ، وهيئت له وسائل النشر والإذاعة العصرية لنشر مبادئه الإنسانية ، لأدى الى العالم خدمات جليلة ، ولاختفت المبادئ الأخرى ، خاصة وهذا العصر عصر البحث والفكر والعلم ، ورجال الأزهر هم أقوى الناس على نشر وتدريس وتعليم مبادئ الإسلام الحنيف التى تبناها الأزهر وحافظ عليها من الضياع زمنا طويلا ، فرحبا بالدراسات الإسلامية الأصيلة السليمة الواسعة على أيدى رجال الأزهر الشريف .

والدكتور طه حسين يصطاد فى الماء العكر ، إذ هو يدعو الى هدم الأساس الذى يقوم عليه الأزهر ، ويعتمد على خريجى معاهد أخرى غير الأزهر فى تلبية دعوته والاستجابة إليه ، وكل من ذاق حلاوة العلوم الاسلامية وعلوم اللغة التى تدرس فى الأزهر لا يجد فى كلام الدكتور طه ما يستأهل أن يفكر فيه يوما واحدا .

وعلى طلاب الأزهر وتلاميذه ألا يخلبهم الدكتور طه بدعوته البراقة ، فأنها ليست دعوة اصلاح لحال الأزهر أو رقى بأبنائه وحملة مشاعله ، وإنما هى دعوة الى هدم الأزهر وإزالته من الوجود ، ولا يستطيع أحد أن يتصور مصير العلوم الإسلامية الكثيرة وعلوم اللغة العربية المختلفة التى تدرس فى الأزهر اذا ألغى الأزهر استجابة للدعوة المجنونة التى ينادى بها الدكتور طه حسين .

إذا كنا أمة جادة تفهم معنى الحياة يجب علينا أن نخطو الخطوة التالية فى اتجاه عكسى تماما لما يدعو إليه الدكتور طه حسين ، فعلوم الإسلام علوم نافعة للانسانية كلها فضلا عن المسلمين ، وفيها تربية للنفوس على الخير ، وهى تجنب الأمم الزلل والخطأ . فيجب أن

مكتبتنا العربية

نتدرج فى إدخال علوم الإسلام وعلوم اللغة التى تدرس فى الأزهر الشريف إلى مدارس وزارة التربية والتعليم، فهى علوم أجدادنا، وتراث آبائنا المجيد، ومصدر ثقافتنا، و يحق لنا أن نحافظ عليها ونعلمها لأولادنا . فنكون بذلك قد وصلنا الماضى بالحاضر ، ووحدنا الثقافة القومية أيضا . وهكذا يكون التفكير الصحيح نحو توحيد الثقافة ، وبذلك ومن هنا ترى أن دعوة الدكتور طه حسين هى كلمة حق أريد بها باطل .

وليست دعوة الدكتور طه حسين بالشىء المستغرب منه ومن أمثاله ، فهو من رجال ما قبل الثورة ، وله فى عالم الأحزاب مبادئه الشاذة وسياسته المعروفة ، وهى تلك السياسة التى كان يسير عليها زملاء الدكتور طه حسين من الوزراء والمستوزرين من رجال ما قبل ثورة مصر المباركة . وهى السياسة الارتجالية فى كل شىء ، وهى سياسة تخبط وتقليد للغرب ، ولو على حساب القومية ، ولو أدى ذلك إلى التنكر لماضينا وحاضرنا على السواء. والدكتور طه حسين دائما يهرب من الماضى، و يود أن يقطع الصلة بينه و بينه، وعلة ذلك تظهر من مقارنة خفيفة بين الدكتور طه حسين فى القديم والدكتور طه حسين الآن وآماله فى المستقبل ، فهو فى الماضى ذلك الشخص الذى صور لنا نفسه فى كتابه « الأيام » ثم رأى نفسه فى ظلال الحزبيات شيئا آخر ، وشجعه الأوربيون الذين تعلم لغتهم وتزوج منهم و يرجو على أيدى الإفرنج لنفسه ولذريته مستقبلا أحسن .

ولكن على رسلك يادكتور طه ! ! ، فليس ماضى أمتك كله شرا ، وليس التجديد كله خيرا ، وما هكذا يكون التطور والرقى فى الشعوب ، والذى يجوز على الأفراد لا يجوز على المجموعات والشعوب .

وقد كان قبلك رفاعة الطهطاوى و جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده وغيرهم، كانوا مخلصين للأزهر، ومنهم من جاب بقاع الأرض وطوف فى الآفاق . فذهبوا اليها علماء مسلمين وعادوا منها علماء مسلمين ، وأنت يادكتور طه تريد أن تهدم المعهد الذى جعلك ترى النور ، وتعرف ما لم تكن تعرف . ان حال الأزهر معك مثل حال مالك ابن فهم مع سليمة بن مالك الذى رماه بالرمح بعد أن علمه فن الصيد والقنص والقتال صغيرا ، فلما كبر وتغيرت الأحوال رماه برمحه ليلا، فلما علم بذلك قال :

جزانى لا جزاه الله خيرا سليمة انه شرا جزانى
أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رمانى

والأزهر لا يلغيه فرد ، ولا يلغيه شعب مصر ، وانما يلزم لإلغائه استفتاء الشعوب

مكتبتنا العربية

الاسلامية جمعاء، لأن الأزهر جامعة لها من الاسلام معنى العموم، ولم يكن انشاء الأزهر لأجل مصر وحدها، ولكن كان وما زال منارة تهدى الشعوب الاسلامية، وبحرا للعلوم ترتاده كل الشعوب وجميع المسلمين ، وان كان مقره فى مصر فما ذلك إلا لأن مصر تتوسط العالم الاسلامى مثل الدرة التى تتوسط العقد الثمين .

والأزهر يعد فكرة قبل أن يكون بناء من المؤنة والحجارة . فاذا ألغى فسوف يتشتت أبناء المسلمين من مصريين وغيرهم ، وسوف يرحلون يجوبون بقاع الأرض الاسلامية باحثين عن مورد آخر للاسلام وعلومه ، وسوف تتبنى الأزهر دول اسلامية أخرى، وتنشئ أزهرا يعلم الناس أمور دينهم ودنياهم كما أرادها الاسلام الحنيف ، ولكن لن يبلغ مجد الأزهر الموجود فى القاهرة فى العلو والارتفاع أى معهد آخر ، لأن علماء الأزهر ورثوا التقاليد والعلوم التى تدرس فى الأزهر ذلك المعهد القديم ، ولن يعوضنا الله فيهم بدلا منهم أبدا .

وكنا نفرح وتثلج صدورنا لو أن الدكتور طه دعا الى إدخال علوم الإسلام فى مدارس وزارة التربية والتعليم ، بحيث ينتهى التلاميذ من حفظ القرآن الكريم فى المرحلة الأولى مثلا ، وتوزع علوم الأزهر على مراحل التعليم المختلفة . . .

وأنا أحب لكل مسلم أن يدعو الى هذا بقوة ، ولو دعا طه حسين الى ذلك فسوف يجد الحجج السليمة القوية التى يفتقدها الآن فى دعوته الحالية .

ولا أجد بدا من الإشارة الى فضل الأزهر على المسلمين فى أنه يخرج لهم رجال الدين، فهل يتصور الدكتور طه حسين أن يوجد رجل من بين رجال الغرب يقف مثل موقفه من المؤسسات التى تخرج رجال الدين المسيحى ويطالب بهدمها و إلغائها . ألم يسمع الدكتور طه حسين أن الفاتيكان لدى الغرب قد جعله الغربيون دولة دينية، وترسل له الدول السفراء والمندوبين . فهل لو ألغت إيطاليا دولة الفاتيكان و أزالتها من أرضها هل يضير ذلك إلا ايطاليا نفسها . وان غيرها من الدول الكاثوليكية سترحب بوجود دولة الفاتيكان بأرضها ، وسوف تفقد إيطاليا خيرا كثيرا .

يجب أن تتألف جمعية من كل الشعوب تنادى بحماية الأزهر من عبث العابثين، على أساس استقلال الأزهر ؛ وعلى أن ترسل كل دولة من الدول الإسلامية مبعوثين لدى شيخ الأزهر ، ويستمر الأزهر فى أداء رسالته ، وتكون له محطة إذاعة قوية ، يصغى إليها المسلمون من جميع أنحاء الأرض ما

اسماعيل فتحى الحو
المحامى

مكتبتنا العربية

برقية تقول

سيصل إليكم مسلمون من بلاد الأزهر

تقوم الآن ضجة فى مصر يصطنعها بعض الكتاب، ليحاولوا الغض من شأن الأزهر، مع أن للأزهر مكانا ملحوظا ومقاما محمودا، لا فى مصر وحدها، ولكن فى الأقطار الإسلامية كلها. فالمسلمون فى كافة الأنحاء يرون فى الأزهر منار الحائرين وكعبة القاصدين، ويرونه المنهل العذب لأصول الدين الصحيح، والمركز الوطيد للثقافات الإسلامية المجردة عن الزيف، الخالصة من الزيغ. وحسبى هنا أن أذكر أننى فى سنة ١٩٤١ أثناء عودتى من فرنسا عن طريق جنوب إفريقيا نزلت مع بعض اخوانى فى (لورنسو مركيز) عاصمة أفريقيا الشرقية البرتغالية، وفى هذه البلدة جامع واحد، ما إن علم إمامه المسلم الهندى بقدومنا حتى خف الينا ودعانا لزيارته بمنزله فى نفس الجامع، وأكرم وفادتنا وحدثنا كثيرا عن أمور المسلمين فى هذه البلاد، واستفتانا فى كثير من الأمور الدينية معتقدا أن كل مصرى لابد أن يكون عالما بالدين. وأنه قد درس هذا الدين بالأزهر دراسة مستفيضة، وقد كنا نرد على استفتاءاته بما نعلم مما نثق فى صحته. أما الاستفتاءات الأخرى التى كانت تحتاج لإفتاء العالم المطلع، فقد جمعتها وأحضرتها معى الى مصر وعرضتها على معارف من العلماء الأزهريين، وأرسلت له بما أفتونى به، فبعث يشكرنى ويطلب بعض الكتب الدينية التى تدرس فى الأزهر.

وحين غادرنا هذه البلاد الى مدينة الكاب أبرق هذا الإمام الى مسلمى مدينة الكاب يحثهم على حسن استقبالنا والاحتفال بنا، ومع أن برقيته لم تتجاوز الكلمات الآتية: «سيصل اليكم مسلمون من بلاد الأزهر» فقد وجدنا أمامنا مئات كثيرة من مسلمى الكاب يخفون لاستقبالنا ويبالغون فى تحيتنا، وكانت أولى تحياتهم تلك الأصوات العالية التى ارتفعت تردد صيغة (الأذان الشرعى). وما شاهدناه فى (لورنسو مركيز ومدينة الكاب) من حب عميق مكين للأزهر، وتقدير عظيم لرسالته السامية، شاهدناه أيضا فى ممباسا عاصمة كينيا.

مكتبتنا العربية

وقد شهدت شخصيا فى سوريا العربية إيمانا بالأزهر وفضله على المسلمين ، ورأيت الشعب والحكومة فى ذلك القطر الشقيق يحتفلون بعلماء الأزهر ويقربونهم منهم ، ويفضون إمامة المساجد الكبرى عليهم (كالجامع الأموى) . وقد طفت ببعض هذه المساجد فوجدت حلقات الدروس يقوم عليها جماعة من العلماء الأزهريين ، يعلمون الناس ويعظونهم .

ومما لاحظته أن الناس هناك لا يستفتون فى دينهم بل وفى دنياهم إلا العلماء الأزهريين ، والمشاهد أن الأزهر أكسب مصر فى العالم الإسلامى كله مركزا ممتازا وسمعة طيبة ، بل كان الأزهر أهم الأسباب الرئيسية التى مكنت لمصر فى زعامة العالم العربى .

وما أشك فى أن هؤلاء الكتاب الذين يحاولون أن تتخلى مصر عن الأزهر ، إنما يحاولون أن تتخلى عن هذه الزعامة !

فعلى هؤلاء الذين يتجنون على الأزهر هذا التجنى ، ويكيدون له هذا الكيد ، أن يلبسوا العمائم ، ويطوفوا بالبلاد العربية والإسلامية على أنهم من علماء الأزهر ، ليعرفوا كيف يستقبلهم الناس ، وكيف تحتفل بهم الشعوب ، وليروا أن هذه الجامعة المصرية الأصيلة تحتل فى هذه البلاد مكان الحب والقداسة !

دكتور محمد أحمد الشامى
من جامعة ومستشفيات ليون

طنطا

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الخطوة الثانية

ألم تر للضربة القاضية ... يسمونها الخطوة الثانية
يروم المضلون أن يقذفوا ... بصرح « المعز » الى الهاوية
وأى مكان يرى بعده ... لدرس شريعتنا الغالية
فقل للذى قد تربى به ... وأضحى الى هدمه داعية
رويدك لا تمش فى فتنة ... فتكوى بنيرانها الحامية

كفر مجاهد ـ بحيرة

محمد محروس عبد الله

مكتبتنا العربية

عقدة نفسية

« و إذا قيـل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنمـا نحن مصلحون، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، و إذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء، ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون »

يحلو لبعض الناس أن يخالفوا ليعرفوا ، وخاصة من يشعرون بمركب النقص فيهم ، ومن هؤلاء الدكتور « طه حسين » ، فأنه لا يفتأ ـ الفينة بعد الفينة ـ يذكر الناس بوجوده ، متصديا لهم فى أمر أجمع العقلاء على تقديسه . وقديما خرج علينا بكتابه «فى الشعر الجاهلى» منكرا الحقائق الثابتة عن ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، ومتحديا كتب الله المنزلة على رسله من توراة و انجيل وقرآن .

وما كان يهم الدكتور أن يقف جانبا والأمة علماء ونوابا وشيوخا فى جانب آخر ، حتى حوكم يومئذ وحكم عليه بابعاده عن دور التعليم ، لكيلا يلقن النشء البرىء ما أملاه عليه سادته المبشرون من أمثال « زويمر » ومؤلف كتاب (مقالة فى الاسلام) وصاحب الذيل عليها .

ألم يخرج الدكتور على إجماع الأمة فى ثورتها الأولى عام ١٩١٩ منددا بزعيمها «سعد زغلول» خدمة للأحرار الدستوريين متقاضيا أجرا شهريا من جريدة السياسة . فلا عجب أن يخرج علينا اليوم ببدعة جديدة « هى إدماج معاهد الجامعة الأزهرية فى وزارة التربية والتعليم » مبتغيا بذلك توحيد التعليم على زعمه ، معتبرا أنها الخطوة الثانية ، بعد إدماج القضاء الشرعى فى القضاء الوطنى ، ولماذا لا يوحد التعليم الدينى والمدنى ، مادامت الأمة واحدة ؟ .

ولو تليت عليه الصفحة الأخيرة من صحيفة الجمهورية ، التى كتب فيها ما كتب ، لها له أمر الجامعة المصرية ، فتدهور معلومات خريجيها وخريجاتها وقولهم فى امتحان عام للالتحاق بوظائف مصلحة السياحة « إن المسيح عليه السلام ولد من خمسمائة عام . و إن القناطر الخيرية بأسوان ، و إن بينها و بين القاهرة مائة كيلو متر ، و إن قلعة القاهرة بناها

مكتبتنا العربية

نابليون ، و إن تعداد القطر المصرى مائة وخمسون مليونا ، و إن الزكاة نظام اقتصادى وضعه أبو حنيفة ، و إن عاصمة لبنان « يافا » إلى آخر هذا الهراء الذى لو تليت عليه واحدة منه لكان حقا عليه أن يطالب بضم الجامعات المصرية إلى الجامعة الأزهرية .

ومن عجب أن يطالب الدكتور بافناء الجامعة الأزهرية فى غيرها مع علمه بأنها ليست ملكا لمصر وحدها ، و إنما هى ملك للعالم الإسلامى كله من مشارق الأرض إلى مغاربها ، يستوى فى ذلك المسلم الصينى واليابانى والروسى والأندونيسى والهندى والمصرى والمغربى والمراكشى — ومع علمه كذلك أنها الجامعة الوحيدة التى تقبل بين طلابها ذوى العاهات من مكفوفين ومقعدين . ولولاها ماسمعنا عن الدكتور طه وأمثاله . فهى التى نشأته وعلمته وقومت لسانه حتى صار إلى ما صار إليه .

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني

وما علة ذلك إلا العقدة النفسية المتأصلة فى الدكتور ، والتى يتبينها كل من قرأ له فى مجلة «آخر ساعة» عن تاريخ حياته ، وأنه طرد من الامتحان لسوء أدبه وتجنيه على العلماء ، فلم يظفر بشهادة العالمية .

وأخيرا : لحساب من يكتب الدكتور ولاسيما فى موسم التسليح ، وهو لا يكتب حسبة لله والوطن ؟ .

ترى هل هو يكتب لحساب دار الكاتب المصرى ؟ . فليعلم أن مايهدف إليه لايسىء الى مصر وحدها وهى الخريصة حكومة وشعبا على الوحدة العربية ، وانما يسىء الى العالم الإسلامى والجامعة العربية ورئيس الحكومة المصرية المسلم الغيور ، كما يسىء الى الذين يرون فى الأزهر ورجاله قادة للرأى والفكر وهداة للاسلام .

وهل هذا يشفى الدكتور من مركب النقص الذى يضيق به و يبرئه من عقدته النفسيه ؟ ! اللهم ان كان هذا دواءه فزده داء ، وأنزل عليه بلاء ، و باعد بينه و بين الشفاء . انها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور . والسلام على من اتبع الهدى ٤

ابراهيم زكى

دمنهور عضو الشيوخ السابق

مكتبتنا العربية

اتقوا الله فى الأزهر
أيها المفتونون

غضبان ممتلئا على إهابه إنى وحقك سخطه يرضينى

اتقوا الله أيها الناس ، واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة .

أيها المفتونون : اذا كان للمسلمين قبلة واحدة ، وكعبة واحدة ، ورب واحد ، ونبى واحد ، وقرآن واحد ، فاعلموا أن ليس للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها إلا أزهر واحد ، هو للشعوب الإسلامية قاطبة مصدر ثقافتها الدينية ، ومصدر لغتها العربية ، ومصدر دينها الحنيف ، ومثابة الناس فى الأرض ، وأمنهم فى الحفاظ على معجزة نبيهم الكبرى . كل من حوم حوله بسوء قصمه الله قبل أن يرد ، ذلكم لأن غيرة الله على دينه الذى ارتضاه لعباده ، وغيرة القائمين فيه على لغة كتاب الله الكريم ، وعلى فهم كل مايتصل بفهم هذا الكتاب من شتى العلوم والمعارف ، قديمها وحديثها ، فى صبر وجلد وفى رضا واطمئنان . كل ذلك لن يدع ظالما يفلت ، ولن يدع مدخولا فى نفسه أو فى دينه ، لينفذ اليه بشر من بين أقطار السموات والأرض ، ليصيب كتاب الله بشىء فى مكان قدسيته من قلوب المسلمين .

هذا يا قوم هو منطق العقيدة السليمة ، وهو منطق الإيمان الصادق بالدين وبالوطن ، وهو منطق رجال ثورتنا يوم أن انتصروا — فى ثورتهم البيضاء — على الشر والفساد ، وعلى الطغيان والاستبداد ، وعلى عبادة الشيطان والانسان ، فحرروا البلاد من الاستعمار ، والوطن من الأشرار .

وهذا يا قوم هو سلاح الذائدين — حقا — عن الدين والوطن . نعم « عن الدين والوطن » . ومن شب على غيرهما استوت عنده ظلمات مهده ، وظلمات لحده .

لهذا أحذركم أيها المفتونون بشىء غيركم أن تتحينوها فرصا سانحة فى « خطوة ثانية أو ثالثة » لعلها أخذ بثأر قديم ، أو شفاء لغيظ محنق ، أو اشباع لنفس شغوفة بشىء غيرها

وكم مالئ عينيه من شىء غيره إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

انا نسائلكم يا قوم عن واحدة ، ثم نعظكم بواحدة .

ماذا تريدون وراء توحيد التعليم الدينى والمدنى بعد أن اقترحتم فى كل يسر وسهولة لوسائل هذا التوحيد عندكم ما نصه : ثانيا « يوضع منهج مطابق لمنهج التعليم العام فى

مكتبتنا العربية

وزارة التربية والتعليم و يفرض على المعاهد الابتدائية والثانو ية الأزهرية » هـذا هو توحيدكم ! فما قيمة قولكم فى البند (أولا) مع البند (ثانيا) « يظل التعليم الابتدائى والثانوى جزءا من الأزهر كما هو »

هـــذا كلام له خبىء معنـاه ليست لنـا عقول

أليس معنى هذا هو هدم المعاهد الدينية الاسلامية الابتدائية والثانوية فى الجمهو رية المصرية وما جرى على غرارها أو سيجرى فى سائر العواصم والبلاد الاسـلامية الشرقية والغربية ؟ وأنت الذى يحز فى قلبك يا دكتو ر ما لم تستطع أن تحبس عنه لسانك فتقول : « تنشئ الدولة معاهد للتعليم ، فينشئ الأزهر معاهد على نحو ما تنشئ الدولة ، وتنشئ الدرجات الجامعية ، فينشئ الأزهر الدرجات الجامعية » وتريد أن تلغى كتب البلاغة فى الأزهر بل تلغى دروس البلاغة كلها ، تلك التى بها يعرف الايجاز والاعجاز فى القرآن ، ثم تقول : (ليدرس مكان ذلك النقد العربى ومذاهب النقد الحديثة فى الغرب) هذا هو اصلاح الأزهر فى نظر الدكتو ر ، وهذه هى ثقافته «الثنائية» لاهى شرقية ولاهى غربية ، لعله يريد أن يفرض نفسه فرضا على الأزهر ليدرس لطلابه مذاهب النقد الحـديثة فى الغرب ، اذا تم له ما يريد لهذا المعهد التاريخى الخالد القائم على لغة الضاد ! !

أم تريد ـ يامعرى زمانك ـ بعد هذا التوحيد أن يفتى عالم الغد ، كما أفتى بعض خريجى التعليم المدنى اليوم بالاباحية المطلقة والتحلل الأخلاقى ، فتثقل من عبء الوطن الى مايعانيه من تفكك الأسر ، وانقلاب موازين العدالة ، الى اضطراب فى العقائد ، وميوعة فى الأخلاق ، وتدهور روحى بالغ أقصى غايات التحلل والانحلال ؟؟ .

وان لم ترد هـذين الأمرين معا أو أحد هذين الأمرين ، أفتريد أن يفتى عالم الغـد المصنوع من توحيدك المدخول ، أن يفتى هذا العالم فى دينه ، وفى كتاب الله ، وفى حديث رسول الله ، وفى أحوال الناس ، ومعاملات الناس ، وعبادات الناس ، وفى جميع الصلات بين العبد والعبد ، أو بين العبد والرب ، بمثل ما يفتى به بعض خريجى التعليم العام فى الدولة الدارس جغرافية مصر بأن بانى قلعة القاهرة هو نابليون ؟ أو كما أفتى بعض هؤلاء من دارسى التاريخ المصرى ، أن السيد المسيح ولد ومضى عليه من الزمن خمسمائة عام منذ الميلاد ، وهو فى سنة ١٩٥٥ من الميلاد ؟ أو كما أفتى بعض هؤلاء من دارسى جغرافية القاهرة وهو مقيم فى مدينة القاهرة ، أن القناطر الخيرية مقرها أسوان ! ! وأخيرا وليس آخرا كما أفتى بعض هؤلاء من دارسى النظام الاقتصادى فى التعليم العام للدولة ، أن الزكاة انما هى نظام اقتصادى

مكتبتنا العربية

اخترعه أبو حنيفة ؟! . الخ الخ . اقرأ صفحة ١٢ من جريدة الجمهورية بعددها رقم ٧١١ فى ٢٧ / ١١ / ١٩٥٥

أيها المفتونون بشىء غيركم : لا أقسم عليكم بالله ، ولا بآيات الله ، ولا بشرف هذا الوطن البرىء النزيه ، وانما أستحلفكم بضمائركم ، ولكن حين تهجعون اليها أو حين تثوب هى اليكم ساعة من ليل أو من نهار ، أن تثوبوا الى رشدكم وأن تتأملوا — اذا لم تتألموا — عظتى لكم حين تأوون الى مضاجعكم .

وأنت أيهذا الدكتور يا من يقولون عنه : إنه عميد الأدبين ! ! ، ورئيب المعهدين ! ! ، ومحضرم الثقافتين ، أراضية نفسك عما كتبت ؟ أو حقا أخذك الفرح ونشوة النصر بهرا مما كتبت ؟ أو حقا أنك تعتمد أكثر ما تعتمد على حواريك فيما كتبت ؟ لقد أغمضت عينيك مرارا حينما كتبت ما كتبت ، وأغمضتهما مرارا حينما استمعت الى قراءة ما كتبت ، وأغمضتهما مرارا أيضا حينما استعدت على سمعك قراءة ما أمليت وما كتبت ! ! ولعلك حبست نفسك وحبست نفسك أكثر من مرة حينما أعجبت بما كتبت ، فالك هالك أن ينهش مخزون رأيك وعقلك (نمر) من نمور الأزهر أو شبل من أشبال الأزهر ، أو أسد من أسود الأزهر ، وحتى خيل لك آخر الأمر أنها تعبئة عامة « ضد خطوتك الثانية » فيها قذائف مدمرة مرة ، وفيها حقائق حرة ، وكنت أول هذا الأمر قد فرضت نفسك على الناس فرضا ، وأنك الفارس المغوار ، فبك القنا الصاب والأفراس الحسان .

فأنشدت :

ومن ربط الجحاش فأن فينا قنا صلبا وأفراسا حسانا

وليس مما ينبغى أن تنسى فى هذا الميدان :

وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا

وظننت أن حماسك هذا لا يعرفه الا الآفلون ، لأنه لا يقرؤه الا الآفلون ، فتعرضت وظننت قومك لا يعرضون (بالفتح يا دكتور) وحومت وظننت القوم لا يردون .

ولقد صدقت اذ صدفت ، ولا أكذبك فى الأولى ، ولكن أصدقك اذ أنشدك :

أتانى أن جحش بنى كليب تعرض حول دجلة ثم هابا

فأولى أن يظل البحر يطفو بحيث ينازع الماء السحابا .

عن هيئة التدريس بمعهد قنا

عياض سباق

شيخ المعهد

مكتبتنا العربية

الأزهر يجب أن يبقى

أمران لا ثالث لهما : إما أن نكون فى حاجة الى الدين فيبقى الأزهر ، وإما أن نكون فى غنى عنه فنلغيه ونستريح منه .

والشىء المحقق أن الناس لا يستغنون عن رسالة السماء ، ولا يستطيعون العيش إلا فى ظلال الدين ، ولا يمكنهم أن يحيوا حياة طيبة إلا إذا اتبعوا وصاياه ، واهتدوا بهداه ، وما أظن أحدا يجحد ما للاسلام من أثر فى تحرير النفس ، وتنمية العقل ، وتقوية الخلق ، وإصلاح الفرد والأمة ، وتوثيق الروابط بين الناس بعضهم مع بعض ، وبينهم وبين الله جل وعلا .

وإذن فلا غنى عن الأزهر ، لأنه هو الحارس الوحيد لتعاليم الإسلام ، والقائم على نشرها وتعليمها ، والذائد عن بيضته ، والمدافع عن حوزته . فله فى عنق كل مسلم دين يتقاضاه منه ، ويسأله عنه . فهو صاحب الفضل علينا فيما تعلمناه من دين ، وما استفدناه من فقه ، وما عرفناه من أحكام الصلاة ، والصوم والزكاة ، وبقية الأحكام التى شرعها الله .

ولا ننسى فضل الأزهر فى الحركات الوطنية ، فالزعيم أحمد عرابى قائد الثورة الأولى ، والزعيم سعد زغلول قائد الثورة الثانية ، كلاهما نبت من الأزهر ، وتغذى بعلومه ، وأثرت فيه تعاليمه الدينية ، وروحه الحماسية ، فقام كل منهما يدافع بحرارة عن أمته ، ويناضل بإخلاص فى سبيل وطنه ، ويسعى جاهدا ليخلصه من ربقة الذل والعبودية ، وليفك عنه القيود والأغلال .

وإذا كانت هذه الثورة الميمونة ثورة ٢٣ يوليو استمرارا وامتدادا لما سبقها من ثورات باعتراف قادتها أنفسهم ، فأنه من السهل علينا أن ندرك فضل الأزهر على مصر فى كل ما أصابها من خير ، وما بلغته من مجد وسؤدد .

إننا فى حاجة قصوى الى رسالة الأزهر ، فلا يمكن أن نستغنى عنه الا اذا استغنينا عن الدين ، ومعاذ الله أن نرى ذلك اليوم الذى نفرط فيه فى ديننا ، ونجهز فيه على أزهرنا ، ونتنكر فيه لتراثنا . لهذا يجب أن نبقى على الأزهر ، وأن نعينه على أداء وظيفته ، ولا نعوقه عنها ؛ واذا كنا نلحظ عليه نقصا فى التعليم فليس وحده الذى أصابه الضعف ، واعتراه الوهن ، فكل نواحى الحياة عندنا فى حاجة الى الإصلاح والتدعيم ، والأزهر كغيره يجب أن نكمله

مكتبتنا العربية

مع الاحتفاظ بالغاية التى نهدف اليها من بقائه ، وهى حماية الدين ، واستظهار كتابه ، وحفظ لغته ، ونشر تعاليمه .

وهذه مهمة شاقة تحتاج الى أن يتوفر لها نفر من الأمة ، ويتخصص لها فريق منها ، خصوصا فى هذا الوقت الذى أطلت فيه الوجودية بعنقها ، وطغت فيه المادة على كل شىء ، وظهرت فيه بوادر الكفر والألحاد ، وانتشرت فيه المبادئ الهدامة . ولا يعاب على الأزهريين أن يتخصصوا فيما تخصص فيه الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، لا يعاب عليهم أن يكونوا ورثة الأنبياء فى العلم وهداية الخلق ، فهذه هى مهمتهم الأولى والأخيرة .

اننا اليوم أحوج الى رسالة الأزهر من كل وقت مضى ، فعلينا أن نعبد الطريق أمام الأزهريين ، ونعينهم على أداء واجبهم ، ونصون هذا المعقل لذى حفظ الدين واللغة أكثر من ألف عام .

إن فينا من يهتم بأحياء تراثنا الفرعونى الذى يتصل بجنسنا . فلا يصح لنا — كأمة مسلمة — أن نغفل تراثنا الدينى الذى يتصل بدينا ؟

دكتور

عبد الفتاح عبد الحميد

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الازهر والثورة

يا ثورة أيقظت فى مصر وسنانا ... وتوجت هامها علما وعرفانا
أرست دعائمها فى كل ناحية ... وبدلت مصر جنات وعمرانا
كل الطوائف تشدو اليوم تالية ... آيات حمد وتزجى المدح شكرانا
والأزهريون مذ كانوا ومذ وجدوا ... لا يبخلون ببذل النفس قربانا
فلا ترى ثورة تبدو طلائعها ... إلا وجدتهمو شيبا وشبانا
وهذه الثورة الكبرى مذ اندلعت ... كانو فداء لمذكيها وأعوانا
قام الشيوخ إلى التدريب فى لهف ... كانت كتيبتهم للفخر عنوانا
وما توانى شباب عن مفاخرها ... وكلهم حرس قد خاض ميدانا
للأزهريين صولات مدوية ... كم حررت من قيود الذل أوطانا

السباعى الشناوى
المراقب بكلية الشريعة

مكتبتنا العربية

تحرير الأزهر

إذا كان لرجل التحرير ما يجب أن يقوله فى الضجة الصاخبة التى أثيرت حول الأزهر ونظامه القائم، فأن خير ما يعرض له هو مكانة مصر بين أمم العالم الاسلامى، تلك المكانة التى اقتعدتها مصر بفضل الرسالة الإسلامية التى حققها رجال الأزهر فى عصوره المختلفة، فكان لها هذا الفيض الغامر من التقديس والإكبار . . .

نعم ان مصر الناهضة التى حررت الآراء من الرجعية ، والأفكار من الإباحية ، جديرة بأن تحرر المجد الذى تسنمته ، والدين الذى ارتضته ، من دعاة الهدم والتعويق ، والرجوع بسمعة أكبر جامعة اسلامية فى العالم الى الانهيار والفناء ، لا سيما فى عهد (جمال عبد الناصر) واخوانه المؤمنين .

لقد ارتفعت أصوات جاحدة لمصر، قبل جحودها لرسالة الإسلام ، تنادى بتقويض دعائم ارتفعت عليها صروح الزعامة الدينية للعالم الإسلامى ، وما من صوت من تلك الأصوات التى ارتفعت الا وفى قلب صاحبه جرح لا يندمل من رجال الأزهر وحماة الأزهر ، ففى الوقت الذى يتوسع فيه الغرب فى اقامة الإرساليات ، وبعث البعوث ، لنشر المسيحية والتبشير بها فى أرجاء العالم، يفزع نفر عرفوا بنزعتهم الإلحادية لتقويض بناء قائم ، ونظام شامخ لعزة مصر والأمم الاسلامية ! ! .

ماذا يبقى لنا اذا فقدنا أثمن درة حرصت عليها الأجيال المتعاقبة ، وورثنا اياها رجال مؤمنون صدقوا ما عاهدوا الله عليه ؟ .

ماذا يبقى لنا اذا جارينا طريد الأزهر ومن لف لفه ، فطمسنا هذه المعالم التى أوضحها دين محمد وأنصار دين محمد، وقنعنا بالقشور دون اللباب قناعة تطمس القلوب وتظلم العقول ؟ !

ماذا يبقى لنا إذا اندفعنا وراء هذه الآراء الجاحدة ، وشغلنا بالعاجلة عن الآجلة ، فجوفنا المعاهد الدينية ، وأدمجناها فى مراحل التعليم ، أو اخترنا لها أعلى مرحلة منها ؟ !

الله الله يا سادة . . ! فلن يكون إيمان بوطن، ولا تقديس لعقيدة، ما لم نحرر الإسلام من زيف المحدثات والبدع ، وما لم نضرب على الأيدى التى تعمل فى الظلام ليعود الإسلام غريبا ! ! !

مكتبتنا العربية

لم يقف فى وجه الطغيان والاستعمار إلا هـــذا البناء الذى أسس على تقوى من الله ورضوان، ولم يزلزل عروش الملوك الطغاة فى مصر والشرق الإسلامى، و يرجعهم الى حظيرة الاعتدال والقصد إلا شيوخ الأزهر ، ولم تشتعل الثورات المؤمنة لإصـلاح الأمة والملة إلا بوحى و إشعاع من اخلاص جماعة تفرغت لدراسة هذا الدين الحنيف فى مبانيها القائمة الخالصة من شوائب المضللين والمرجفين وأصحاب الآراء الباطلة .

لقـد لفظ الأزهر من أعمى الله بصيرتهم ، وطهر نفسه وسمعته ممن أضلهم الله على علم ، وأعطاهم درسا أبقى له كيانه ، وحفظ عليه كرامته ، بخرفتهم فتنة الدنيا ، واستهواهم بهرج زينتها ، ومع ما هم فيه من النعمة أو النقمة لم ينسوا حقـدهم الدفين وداءهم الدوى ، فأشعلوها حربا تنقص من دينهم « و يأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الـكافرون » .

الله الله يا سادة . . . فمـا (جمال الدين الأفغانى) ، ولا (محمد عبده) ، ولا (سعد زغلول) ولا غيرهم من حملة ألوية الاصـلاح دينا ودنيا بمقرة أرواحهم لدعوة تذهب بجوهر الاصلاح الذى أرادوه ، والوطن الذى أقاموه، يصرف المسلمين والمواطنين عن ملاذهم الذى اعتصموا به ، ومنارهم الذى التفت قلوبهم حوله .

وأنتم يا قادة الثورة . . يا من عرفتم بضوء البصيرة وصفاء السريرة ، وقامت ثورتكم بتأييد من الله ونصره، فحطمت رأس الطغيان، وأزهقت الزور والبهتان، لن تتخلى عنكم رعاية الرحمن ، ولن تخطئـكم دوافع الإيمـان، عندما تستمعون القول فتتبعون أحسنه، وتؤدون زكاة التمـكين لـكم فى الأرض، والإعزاز لـكم فى مصر والشرق، باعزاز أدلى الدين و إعلاء كلمة الله .

ان مصر والعالم الاسلامى ينظران اليكم نظرة الاكبار والاعظام ، وان أمل الأجيال المتعاقبة فى الأزهر المعمور ليزداد بكم تطلعا الى آفاق فسيح، تزيد الإسلام عزا على يديكم، بأن تبنوا له فروعا على غراره ونظامه ، فى كل بلد إسلامى وغير إسلامى ، لا أن تهدموا دوره ومعاهده، وتنقضوا أسسه وقواعده، وتبقى الفاتيكان مزدهرة بالبابوية، والإرساليات هاتفة بالنصرانية .

والله المسئول ـ حمدانه وسعدانه ـ أن يزيدكم هدى و بصيرة، وأن يجنبكم مزالق الضلال والفتنة ، وأن يرد عن وطننا ودينا كيد تلك الشرذمة التى يبتلى بها الاسلام فى كل زمن .

انه سميع الدعاء ، ومحقق الرجاء ، والسلام على من اتبع الهدى

عبد الغنى سلامة

سكرتير هيئة تحرير شبرا النملة

مكتبتنا العربية

بين الآونة والأخرى

بين الآونة والأخرى تطلع علينا بعض الصحف بمقالات وآراء لمن غرتهم زخارف المدنية الغربية ، فبعضهم يزدرى الثقافة الشرقية ، وبعضهم يريد أن يتدرج لإلغاء الأزهر تحت ستار توحيد التعليم . وليست هذه الفكرة وليدة اليوم ، ولا هى بالرأى المبتكر ، وإنما هى فكرة المستعمرين ، ورأى قديم كثيرا ما رددته ألسنة المبشرين ، فسرت العدوى الى هؤلاء المخدوعين ، فتغنوا به بين الحين والحين ، فنراهم كلما أحسوا من الأمة غفوة يجهرون بمثل هذه الآراء ، ظنا منهم أن الوقت قد حان لتنفيذ مكيدتهم وإحكام ضرباتهم .

وفاتهم أن الأزهر ـ وهو مفخرة الشرق ، وكعبة العلم فى العالم الإسلامى كله ـ قد قام بحفظ تراث عزيز على كل مسلم ، نصان للأمة الإسلامية دينها ولغتها وكتابها من أن تمتد إليها عوامل الإهمال ومعاول الهدم والطغيان .

فيا حضرات الدكاترة والفلاسفة : ما كانت منزلة الأزهر لتهون على الأمة المصرية والعالم الاسلامى ، حتى يقضى فيه بهذه الآراء المغرضة والأفكار الخاطئة .

وانا لنرجو الله أن يحفظ الأزهر للاسلام والمسلمين ، وأن يهيئ له من يعينه على أداء رسالته فى نشر تعاليم الإسلام وحفظ لغة القرآن .

وكم كنا نود من حضرات الكتاب الذين يبتغون الاصلاح أن يوجهوا أقلامهم الى العناية بأمر الدين ، والعمل على تعليمه وتعميمه فى مدارس الحكومة وجامعاتها ، حتى نأمن على أبنائنا ـ الذين هم عدة المستقبل ـ من المبادئ الهدامة والمذاهب (الوجودية) التى يهدد انتشارها نظام المجتمع ويقوض دعائمه .

وأملنا كبير فى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أن يقف لهؤلاء المغرضين بالمرصاد ، والله معه وصالحو المؤمنين « ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز » .

أحمد محمد الوكيل

رئيس الغرفة التجارية بدمنهور ـ ورئيس جمعية المواساة الإسلامية

مكتبتنا العربية

تراث آبائنا ذخر لنا

المتشرف بكتابة هذا المقال الصغير من الذين انطبعت قلوبهم على حب كل شيء عربي، لعقيدته أن العرب كانوا مصدرا لمدنية عظيمة، في الوقت الذي كان العالم فيه يعيش في الظلمات، فكان منهم المحاربون كالفاتح الخالد: خالد بن الوليد، وطارق بن زياد، وقد وصلوا في فتوحاتهم حتى الهند واسبانيا، ودانت لهم الدنيا شرقا وغربا، وانتشر الإسلام، في حقبة قليلة من الزمن.

ولم تقف مدنية العرب عند فتوحاتهم وغزواتهم، بل كان منهم علماء الفلك والكيمياء والطب والمؤرخون، وكل هؤلاء وأولاء قد تركوا لنا ثروة علمية وأدبية تزخر بها مؤلفاتهم وكتبهم. فاذا رجعنا مثلا إلى كتب الشريعة وجدنا أنها تحوى من المذاهب والآراء سواء في المعاملات أو العبادات ما لم يصل إليه عقل البشر في العصر الحديث.

والأثر الخالد البارز لمدنية العرب والذي سيبقى ما بقي الزمن هو الأزهر الشريف، ترنو إليه الأبصار وتتجه إليه القلوب، فهو رمز أمانينا، وقبلة آمالنا، ومعقد رجائنا. منه نشأ آباؤنا وأجدادنا رضوان الله عليهم، وفيه اعتى خطباؤنا المنابر منادين باستقلال بلادنا، بل هو وحي الحرية ومهبطها لا للمصريين فحسب بل لكل أمة تنشد الاستقلال والحرية.

منذ ألف عام أنشئ الأزهر، فسطع بنور العلم والمعرفة، واتجهت أنظار العالم إلى قبلته. ووفدت إليه الوفود، وأمه الطلاب من مشرق الأرض ومغربها. وانك لتجوس خلال أروقته فتجدها قد جمعت من كل الأجناس، أتت ساعية آخذة بأسباب العلم والمعرفة. فاذا كان العالم يتيه اليوم بهيئة الأمم، فلنا أن نزهو ونفخر بالأزهر الشريف الذي ضم بين جوانبه مختلف الأجناس، وقد جمعت بينهم وحدة الغرض ونيل القصد.

منذ ألف عام كان أزهرنا مشيدا، وكانت أوربا وغيرها غارقة في الدياجير والجهل، محرومة من نور العلم والعرفان. فاذا كان الأزهر هو تراث أجدادنا، وخير ذخر لنا، فعجبي تلك الصيحة التي تنادي بأن نمسخه ونخرجه عن رسالته السامية.

مكتبتنا العربية

وأولئك الذين ينادون بذلك ، ويجاهرون به ، ويسخرون أقلامهم فى هذا السبيل ، ويدبجون المقالات لينشروها على الناس ، إنما يهدمون خير ما ورثناه عن آبائنا وأجدادنا وأسلافنا ، ولم يراعوا فيما يكتبون إلا ولا ذمة ، ولا حفظا لتراث الآباء والأقدمين .

على أن وجه الخطأ ليس فيما تقدم فحسب ، بل إن طلاب الأزهر والمعاهد الدينية يشترط فيهم حفظ القرآن وتجويده قبل الالتحاق به ، وقد يصل السن بالصغير حتى يحفظ كتاب الله الكريم إلى الثانية عشرة من عمره ، فإذا طبقنا على هؤلاء الطلاب قوانين وزارة التربية والتعليم فيما يتعلق بالسن مثلا ، لألزمنا هؤلاء أن يلتحقوا بالأزهر فيما بين السادسة والسابعة حيث يكون النشء طفلا لا يعرف القراءة والكتابة ، ونتيجة لذلك لا تمضى إلا سنوات قليلة حتى يكون كتاب الله أثرا بعد عين ، وهو أمر لا يرضاه صاحب الكتاب جل جلاله وعظم شأنه .

على أن الأزهر والمعاهد الدينية لم تقف جامدة فى هذا السبيل ، بل سايرت الزمن ، وتطورت مع المدنية ، ففيها تدرس العلوم المدنية جنبا إلى جنب مع العلوم الدينية والشريعة الإسلامية واللغة العربية .

فيا قوم ، اتقوا الله فيما تفعلون ، واعلموا أن الله عليم بما تظهرون وما تبطنون ، والله الهادى الموفق لنا أجمعين .

حسين أبو شليب

المحامى بطنطا

أمام محاكم الاستئناف العليا ومجلس الدولة

مكتبتنا العربية

بل الأزهـــريون
يؤمنون بالكتاب كله

قرأت بالجمهورية الصادرة يوم ٢٧ / ١١ / ١٩٥٥ مقالا للدكتور طه حسين بعنوان : « الخطوة الثانية وإن غضب الغاضبون » .

وسأحصر كلامى مع الدكتور فى نقطتين اثنتين ، وإن كنت قرأت الكتاب كله ، وآمنت به كما آمن به الأزهريون .

(الأولى) يقول الدكتور : قد كتبت مقالين عن هذه الخطوة الثانية لم أذكر فيهما صريحا ولا تلميحا اغلاق الأزهر ولا إلغاء التعليم الدينى فيه ، ولا إلغاء التعليم الدينى فى غيره من المعاهد والمدارس على اختلافها .

ونحن نقول معك يادكتور : إنك لم تقل ذلك صريحا ولا تلميحا ، ولا يستطيع غيرك حتى الكافر الصريح أن يقول : أغلقوا الأزهر وألغوا التعليم الدينى فيه وفى غيره ، ولكنه يعمل لذلك من بعيد ، يعمل لذلك بطرق قد تخفى على الأحداث الصغار ، ولكنها لا تخفى على الممارسين المتدربين ، وهل نادى دنلوب بالغاء التعليم و إغلاق المدارس حين أفسدها وجعلها لا تخرج إلا طائفة محدودة ضعيفة التعليم تكفى لصغار الوظائف ، كما يعرف ذلك المثقفون الكبار فى بلدنا ، وكما يعرفه الدكتور طه نفسه .

قل لى يا دكتور : ما رأيك فيمن حفر بئرا فى طريق يسلكه أعمى لا طريق له سواه فتردى ذلك الأعمى فى البئر ومات ؟ ما رأيك ؟ هل تقول إن هذا الحافر لم يقتل ذلك الأعمى بيمينه ولا بشماله فلا عقاب عليه ؟ . لست أعرف ما تقول ، ولكنى أعرف ما يقوله علماء الإسلام من أن هذا الرجل الذى حفر البئر فتردى فيها الأعمى قاتل بلا ريب ، فأن كان قد حفر البئر بقصد أن يتردى فيها ذلك الأعمى فيموت ، فأنه يكون قاتلا عمدا يقتص منه كما يقتص من القاتل المتعمد بالرصاص أو غيره .

أنت — يادكتور فى فكرتك — كالحافر تلك البئر ، لم تطالب إغلاق الأزهر ولا إلغاء التعليم الدينى فيه ، ولكن تطالب مايحقق ذلك بأجلى معانيه ، فتطالب توحيد التعليم فى المرحلتين الأولى

مكتبتنا العربية

والثانية ، أى أن الطالب يبتدئ فى سن الخامسة ، ومتى يحفظ القرآن الكريم إذن ؟ وهو أصل الإسلام ومنبعه الصافى ؟

ظاهر جدا أنه لا يحفظه ، ثم يتعلم ذلك التعليم البسيط القاصر على أوليات العلوم ومباديها ، وهل يرجى من الطالب ـ وقد قطع المرحلتين الأوليين على هذه البساطة ـ أن يلم بعد ذلك بفروع الشريعة و يكون على بينة منها ، و يحسن تفسير القرآن الكريم وهو غاية فى الدقة ، و يتفهمه على وجهه الصحيح ، وهو محتاج الى التضلع فى علوم اللغة العربية والتوسع فيها وفى متن اللغة وفى علوم البلاغة ؟

إنه عند ذلك بلا ريب يخرج الأزهر قوما كأولئك الذين يذكر عنهم السيد عميد الإمام ـ فى عدد الجمهورية الذى به مقالك ـ أنهم سئلوا عن ميلاد السيد المسيح ، فقالوا : ولد منذ خمسمائة عام ، وسئلوا عن بانى القلعة ، فقالوا : بانيها هو نابليون بونابرت ، وسئلوا عن الزكاة ، فقالوا : إنها نظام اقتصادى اخترعه أبو حنيفة ، وهم ـ كما يقول السيد عميد الإمام ـ مجموعة من حملة الشهادات العليا الذين أتموا تعليمهم وتخرجوا فى الجامعات ، والمفروض أنهم حصلوا على قدر كبير من التعليم ، أتريد يا دكتور أن يخرج الأزهر أمثال هؤلاء ؟ وهل عند ذلك يبقى الأزهر مفتوحا والتعليم الدينى قائما فيه ، أو أن هذا اغلاق للأزهر لا يرجى فتحه بعده ، و إلغاء للتعليم الدينى إلغاء تاما ؟ !

قل لى بربك يا دكتور ، إذا وصل التعليم الى هذا الحد بسبب توحيد التعليم الذى تطلبه هل يبقى للأزهر أثر أو للتعليم الدينى من باقية ؟ . ولعلك ـ عند ذلك يادكتور ـ تقول : الآن يتعلم الأزهريون كما يتعلم الناس وكما ينبغى أن يتعلم الناس .

(الثانية) يقول الدكتور : إنما طبيعة الإصلاح أن يمتاز الأزهر أولا بتعليمه الدينى ، وأن يمتاز بهذا التعليم الدينى من الناحيتين العملية والعلمية ، فيهيئ شبابه للنهوض بالأعباء الدينية التى تحتاج اليها الحياة العامة من جهة ، وللتفرغ للبحث العلمى الخالص فى شئون الدين من جهة أخرى ، هذا النحو من الامتياز بالتعليم الدينى والاستئثار بالمناصب الدينية فى الحياة العامة لا غبار عليه ولا جدال فيه . و إنى ـ وأنا فى سمتى وأدبى ـ أسائل الدكتور وأرجو أن يتنازل مؤقتا عن تعصبه لرأيه وعن لجاجته فى العناد ، حتى يجيب بما يحسه فى نفسه ويشعر به فى ضميره ، إنى أسائله : هل يبقى للأزهر هذا الامتياز اذا اتحد التعليم

مكتبتنا العربية

فى المرحلتين الأولى والثانية ؟ هل يبقى له هذا التفوق وتلك البراعة فى الدين وعلومه ، ويستحق بجدارة أن يلى المناصب الدينية ؟

الله يشهد ، والمنصفون يشهدون ، أن الطالب الذى ينشأ على سطحية التفكير وعدم التعمق فيه لا يمكن ـ وقد نشئ هذه التنشئة ـ أن يكون عميقا فى فهمه ، دقيقا فى تفكيره وادراكه .

ثم استمع الى الدكتور وهو يقول : أما اذا أراد الأزهر أن يشارك شبابه فى غير هذه المناصب الدينية من الحياة العامة فحقه فى ذلك واضح لا جدال فيه . . . ولكن ينبغى أن يسلكوا طرقها الطبيعية ، وأن يدخلوها من أبوابها المألوفة ، أى ينبغى أن يتعلموا فى معاهد الدولة (المدنية) ، وهنا أقول للدكتور ـ وأنا فى سمتى أيضا ـ : لقد عثرت يادكتور عثرة لا لعالك منها .

أفكل ما يهمك ـ يادكتور ـ أن يتعلم الأزهريون العلوم غير الدينية من طبيعة وكيمياء وجغرافيا بأقسامها والتاريخ بأقسامه والحساب والهندسة والجبر فى معاهد الدولة المدنية ، وعند ذلك يكون الأزهريون فى نظرك يتعلمون كما يتعلم الناس وكما ينبغى أن يتعلم الناس ، فأذا تعلموا هذه العلوم نفسها ، وأخذوها بقسط أوفر من غيرهم فى أزهرهم الشريف على نفس الأساتذة الذين يعلمونها فى المعاهد المدنية لم يكونوا فى نظرك يتعلمون كما يتعلم الناس وكما ينبغى أن يتعلم الناس .

ألا تعجبون أيها القراء أن يحدث الدكتور وهو الرجل الذكى الأريب ضجة بل فتنة من أجل أن يتعلم الأزهريون فى معاهد الحكومة المدنية العلوم التى يتعلمونها فى أزهرهم ؟! .

ما هذا يا دكتور ؟ ما دخل المكان فى التعليم ؟ اللهم إلا من جهة الصحة وما تبعها . أما فى العلوم فما دخله وما ميزته ؟ كنت أحسبك يا دكتور تطلب أن تقارن بين طلاب المرحلتين الأولى والثانية فى الأزهر وبين أمثالهم من طلاب المعاهد المدنية ، وعند ذلك كنت أقول ـ وأنا مطمئن لما أقول ـ : سيظهر للدكتور التفوق الأزهرى والتوسع فى العلوم التى تدرس فى المعاهد المدنية ، ولكن الدكتور لا يعنيه المعنى العلمى ، وإنما يعنيه أن يتلقى طلاب الأزهر تلك العلوم فى المعاهد المدنية ، ليكونوا فى نظره يتعلمون كما يتعلم الناس . إنى أستحيك عذرا يادكتور ـ وأنا فى سمتى ـ أن أقول لك فى استحياء : إنك غير موفق فى تفكيرك ، وأحسبك لا تدرك ما تقول .

مكتبتنا العربية

وبعد ، فقد زعم الدكتور أن الأزهريين لا يخيفون ولا يقلقون . لا . يادكتور ، الأزهريون يخيفون ويقلقون ، بل ويقصمون الظهور ، وقد قصموا ظهرك يوم أن دخلت امتحان العالمية أمامهم ، فلم ينطق لسانك هذا الطويل المكثار بكلمة واحدة ، وأخذوا يلقنونك إشفاقا عليك ، فما كنت تستطيع أن تعيد ما يلقنونه لك ، حتى إذا انتهيت من العلم الأول وقت التستريح وتسترد أنفاسك التى غابت عنك ، وريقك الذى غار أمامهم ، طلبوك للدرس الثانى ، فأبيت كل الإباء ، ولم تستطع رجلاك أن تحملاك إليهم مرة ثانية ، ولكنهما حملتاك إلى بعض الجرائد فكتبت فيها مقالا بعنوان (ساعة بين اللحى والعمائم) صلت فيه وجلت ، وقلت وقلت ، وكأنك حينذاك كنت تردد قول الشاعر :

عدس ما لعباد عليك إمارة أمنت وهـــذا تحملين طليق

ونسيت قول الشاعر :

وإذا ما خـــلا ... بأرض طلاب الطعن وحده والنزالا

وكان أولى بك ألا تنساه .

ألا تذكر ماضيك يا دكتور ، ألا تذكر أنك كنت من طلاب الأزهر ، فلفظك الأزهر ، أو لعلك أنت الذى لفظته ، لأن ذهنك غير مستعد لفهم علومه .

ثم أنشدت البيت الأخير فى مقالك :

ومن ربط الجحاش فأن فينا قنا صلبا وأفراسا حسانا

وكان الأولى بك أن تنشده :

ومن ربط الأسود فأن فينا قنا ضخما وأفكارا عجافا

أسأل الله لى ولك التوفيق والهداية ؟

محمد الطنبخى

عضو جماعة كبار العلماء

ومدير عام الوعظ والإرشاد بالجمهورية المصرية

مكتبتنا العربية

أبطال التحرير يمجدون الازهر

كان من تجاوب رجال الثورة مع الأزهر فى الدعوة الى تكوين مجتمع صالح : على أساس من الخلق الإسلامى، والتربية الوطنية ـ أن تحدث أبطال التحرير : السيد ابراهيم الطحاوى السكرتير العام المساعد لهيئة التحرير ، والسيد أحمد عبد الله طعيمة السكرتير العام للنقابات والاتحادات ، والسيد حسين عبد القادر الأمين العام للصندوق بهيئة التحرير ، عن تقدير هذه الثورة للأزهر فى ماضيه وحاضره ، وعن عظيم أمالهم فى مستقبله ، والتعويل عليه فى الوصول الى الأهداف التى قامت الثورة من أجلها ، والتى ستظل متجهة إليها فى عزم وجد ونشاط .

وقد أكدوا ـ فى أحاديثهم ـ أنهم انما يعبرون فى ذلك عما يكنه السيد الرئيس « جمال عبد الناصر » للأزهر ، مما هو معروف عنه ، ولا نزال نسمعه ونلمس آثاره فى كل مناسبة .

ونحن ننشر هذه الكلمات القيمة التى ألقيت فى اجتماع أساتذة الكليات والمعاهد بقاعة « مصطفى كامل » بهيئة التحرير العليا .

كلمة السيد ابراهيم الطحاوى

إخوانى .

السلام عليكم ورحمة الله .

أشكر لكم تفضلكم بالحضور فى هذه الندوة الطيبة ، كما أشكر لإخوانى الذين سبقونى فى الحديث، واستفدنا من نصائحهم وخبرتهم الكثيرة .

وأرجو الله أن يوفقنا دائما فى سبيل الإسلام ، وفى سبيل مصر ، وفى سبيل الثورة ، وفى سبيل الأزهر .

يا إخوانى :

إن خصوم مصر يريدون أن ينالوا من كل ما هو مصرى ، يريدون أن ينالوا من كل ما هو على أرض مصر .

وإن الاستعمار وخصوم مصر يريدون تحطيم هذا البلد ، ولن يتم تحطيمه إلا بتحطيم أركانه ، والأزهر هو الركن الروحى لهذه الأمة ، فإذا هدم هدمت روحانية مصر ، وهدمت مصر بعده .

مكتبتنا العربية

وإذا فليس بعجيب أن يتجنى أعداؤنا على الأزهر ، ولكن العجيب أن نتخاذل نحن . وأن نضعف نحن . وأن نفقد نحن الثقة .

ثم استطرد فقال :

واليوم ونحن نريد أن نبنى مجتمعا قويا كريما ، فيه رجولة وفيه خلق ، نعلم عن يقين أن هذا المجتمع لا يقوم إلا على أساس روحى متين .

قد تقيم المادة دولة ، ولكن الروح هى التى تضمن النصر والخلود . إن الدول التى تبنى حياتها على المادية ستنهار ، ولن تعمر إلا الأمة التى احتفظت بروحانياتها . والمستقبل لمصر بلد الأزهر . نحن نؤمن بأن الروح باقية ، ولن يقوم بناء المجتمع إلا بروحانيات . وستسود مصر العالم عندما تمسك بدينها وروحانياتها وكتابها .

أيها الإخوان :

يوم يتحطم الأزهر تتحطم مصر ويتحطم الإسلام . إن مصر لا تعرف فى البلاد الإسلامية إلا بالأزهر ، ويجب على الأزهر أن يعد نفسه لمعركة مريرة رهيبة ، وأن يسعى بنفسه لحماية نفسه وبلده ودينه ، ويجب على أبنائه أن يتكتلوا ويتدارسوا حتى يستطيعوا أن يجابهوا الأحداث الجديدة فى أساليبها وتفكيرها .

أنتم عقل هذا البلد . وأبناء الأزهر يستطيعون أن يقوموا بخدمة الإسلام فى جميع البلاد .

ويوم يقوم الأزهر برسالته سيقضى على كل دعوة مجنونة تريد أن تنال منه ومن الإسلام .

إن هناك أخطارا تحيط بكم ، تريد أن تنال منكم كمصر لا كأزهر .

ان العالم كله يخشى قيام الأمة العربية ، والأزهر هو الذى يقيمها ، لذلك يريدون أن يحطموا هذا العلم ، وهو الأزهر .

فاحرصوا على أزهركم حرصكم على حياتكم ، واحرصوا عليه بالعمل ، فان واجبكم من أضخم الواجبات

أيها الإخوان :

نريد أن نطهر نفوسنا . وأن نتلاقى على صفاء يغمر النفوس ، حتى نحقق لمصر وللاسلام ما نريد .

وأرجو أن نتواصى بالعمل ، لا من أجل ذواتنا ، بل من أجل مصر ، ومن أجل الثورة ، ومن أجل الأزهر .

وفقنا الله جميعا على الحق والخير ، والله أكبر والعزة لمصر ، والسلام ٤

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

مكتبتنا العربية

كلمة السيد احمد طعيمة

في هذه الليلة المباركة لا أعرف هل أهنئ نفسي أم أهنئكم بافتتاح نادي الجامع الأزهر ، إذ أنه تربطنا بالأزهر روابط الدم والروح ، ففي نفوسنا تسري كلمة الأزهر مسرى الروح ، لأننا كمسلمين ـ أولا وأخيرا ـ نهتم به كأول معهد قام على خدمة الشريعة الإسلامية .

ولهذا فأني أتساءل : كيف يراد توحيد التعليم و إلغاء التعليم الديني ؟!! فهل وجدت الدول الأخرى التعليم وألغت التعليم الديني ؟

نريد أن نسائل أصحاب هذه الدعوة عن ذلك ، لأننا نعلم أن أكثر الدول تنفق على التعليم الديني أضعافا مضاعفة تزيد عما تنفقه في التعليم المدني ، بل إن التعليم المدني في أمريكا في مسئولية الأفراد ، أما التعليم الديني فتتولاه الدولة بجميع إمكانياتها .

كيف يطالبون بأنهاء حصن الدين في مصر وفي الشرق .

إن المعركة معركة واضحة ، يراد بها القضاء على التعليم الديني ، وعلى هذا المركز الذي يشع نور التوحيد ، حتى يخلو الجو للدعوات المنحرفة الأخرى .

كيف يريدون منا أن نحطم هذه الكعبة التي ظلت محتفظة بكيانها ، حتى في الأوقات التي وقعت فيها مصر نفسها ، وظلت تربط مصر بجميع البلاد الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها .

اننا لن نسلم بهذا الحصن ، لأن التسليم به تسليم بحياتنا ، ومصريتنا ، وقوميتنا ، وقومية العرب والمسلمين . و إني ـ كرجل من رجال التحرير ـ أومن بأن الدعامة الأولى هي دعامة الدين ، وأن سدنة الدين هم رجال الأزهر . و إني ـ كرجل خرج من الريف ، ومن عائلة ريفية ـ تعلمت على يد علماء تخرجوا في الأزهر .

ولا أدري كيف يتنكر بعض الناس لمعهد خدم الدين في وقت كانت فيه الظلمات تجتاح كل مكان في الشرق والغرب .

وأدعو الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يوفق الرئيس (جمال عبد الناصر) لتحقيق آمالكم ، ورفع شأن الأزهر ، والسلام عليكم ورحمة الله ٤

مكتبتنا العربية

كلمة السيد حسين عبد القادر

ان الثورة تؤمن ببقاء الأزهر لأن بقاءه بقاء لمصر ، وللعروبة ، وللاسلام ، وقد كان الأزهر الشريف هو الجامعة العربية التي تربط العرب جميعا قبل أن تنشأ الجامعة العربية الرسمية ، كما كان المؤتمر الإسلامي الذي يضم شتات المسلمين قبل أن ينشأ المؤتمر الإسلامي. ويخطئ أولئك الذين يعتبرون مصر بلدا فرعونية ، فلم يكن الفراعنة إلا عربا نشئوا على أرض عربية هي مصر التي تعتز بالأزهر ، وتدين له بنشر الرسالة الروحية ، وجمع المسلمين حول هدف واحد ، ولئلا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله.

ومن هنا كان الأزهر هو كعبة مصر ، وكعبة العروبة ، وكعبة الإسلام ، ولن تسمح مصر وثورتها الشعبية أن ينال أحد من الأزهر أو ينتقص من شأنه . والله أكبر والعزة لمصر ٤

مجلة معهد الاسكندرية الدينى

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

هي مجلة سنوية . ولكن جزء هذه السنة الذي أصدره معهد الاسكندرية الديني يغني — باتقانه ، وغزارة مادته ، وسمو أهدافه — عما لو كانت المجلة شهرية ، وقد تعودنا من حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد الصادق عرجون شيخ المعهد أن يملأ محيطه نشاطا وفضلا وحسن توجيه حيثما يكون .

وقد افتتح جزء هذه السنة الأولى من مجلة معهد الاسكندرية الديني بكلمة تحية من حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، ثم بكلمة لفضيلة وكيل الأزهر ، وأخرى لفضيلة السكرتير العام . وبعد افتتاحية التقديم بقلم فضيلة شيخ المعهد عرضت المجلة لتاريخ مشيخة علماء الاسكندرية منذ أنشئت سنة ١٣٢١ أي قبل أكثر من نصف قرن ، وختمته بقائمة لأسماء شيوخ هذا المعهد من أيام العلامة الشيخ محمد شاكر الى شيخه الحالي . يتلو ذلك بضع وأربعون مقالة بأقلام علماء هذا المعهد وطلابه . وهذا الجزء من المجلة جاء في قريب من مائتي صفحة . فشكرا لمعهد الاسكندرية على مجهوده العظيم .

مكتبتنا العربية

الخطوة الثانية

وإن غضب الغاضبون

« يفعلون ذلك وهم يعلمون حق العلم أنهم يخالفون عن الحق ، ويخالفون عن أمر الدين ، ولا يعنيهم إلا أن يشفوا صدورهم من صديق للأزهر يرونه له خصما . . . » .

« وشيوخ الأزهر لا يقفون عند هذا الحد ، ولكنهم وشيخهم الأكبر خاصة يورطون أنفسهم فى إثم آخر لا يحبه الله ، وقد عاب به قوما لا أذكرهم هنا لأنى لا أريد أن أسوء الشيوخ ، ولكنهم يعرفونهم حق معرفتهم لأن الله يقول لهؤلاء القوم : أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض . . » .

وكم أحب أن يذكر الشيوخ ذلك البيت الذى يقرءونه فى كتب البلاغة :

جاء شقيق عارضا رمحه ... إن بنى عمك فيهم رماح

وأن يقرءوا كذلك بيتا آخر لا يقرؤه منهم إلا الأقلون :

ومن ربط الجحاش فأن فينا ... قنا صلبا وأفراسا حسانا

عن الجمهورية فى ١٢ ربيع الآخر سنة ١٣٧٥ « من الخطوة الثانية للدكتور طه حسين »

ساوا «العميد» المربى ، وابن بجدتها ... هل عاد يبعثها فى مصر نيرانا ؟!

ويملأ النيل من تهطاله جدلا ... ويبعث «الخطوة العمياء» برهانا ! !

هذا « الصديق » الذى طابت مودته ... قد عاد يوقظ أحقادا وأضغانا ! !

تجرى « بخطوته » الآثام هالعة ... فى موكب الإفك ، أوتنساب خلجانا

يثيها « الكاتب » الشاوى ببالقعة ... لا تبك فى مصر أديانا وأوطانا . .

مشى على « الدار » إعصار فروعها ... فابك هنالك فى « السربون » أديانا

هل خضت فى لجج الأيام «معركة» ... أم خضت فى غسق الأحداث طوفانا ؟

أثرت لجتها ، والأرض تملؤها ... تلك الغياهب أرزاء وأحزانا ! !

مكتبتنا العربية

يأيها الكاتب المفتون قد ذهبت ... تلك الليالى ، وسال الدمع هتانا
أغراك (بالدين) فى «السربون» طاغية ... بحثت تغرى هنا فى مصر فتيانا
تلك الحلوم « أضلتها أبالسة » ... كما أضل « عميد » الدار صبيانا
خططت (للدين) فى أوطاننا جدثا ... وخاط «صهيون» (للاسلام) أكفانا
فهل قضى «الشيخ» من أربابه وطرا ... وهل أقام له الأرباب ميزانا
سر بخاطر هذا الليل يكتمه ... وإن لليل أسرارا وقيعانا

* * *

ماذا وراءك (للاسلام) من نوب ... وقد هدمت له فى الأرض أركانا ؟
تلك الطواغيت فى «السربون» روعها ... هذا النوى . . فابك فى «السربون» أوثانا
أذكيت جذوتها فى مصر ، فاندلعت ... أضغانها . . ومشت فى مصر نيرانا . .
وما صنعت لنا فى الشرق معجزة ... فاصنع بحقك (إنجيلا) و (قرآنا)
واعتب على الدهر ، واحذر من مقادره ... واحذر مع الدهر أصحابا و إخوانا
ظننت أن سكوت الدهر مغفرة ... وإن للدهر ، لو آمنت غفرانا . .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تلك المشارع لا تصفو مشاربها ... فهل صفت لك فى الأيام أحيانا ؟
وهل ضلالات سبيل الرشد ، فاحتدمت ... تلك الحلوم . فبات « الشيخ » ولهانا ؟

* * *

« الصرح » رد الى الفصحى بشاشتها ... وصان من لجج الإلحاد (فرقانا) . .
و « الصرح » أعجزت الآباد آيته ... وشيبت حوله فى الأرض أزمانا
« صرح » أقيمت على التقوى دعائمه ... ففاض نورا على الدنيا وعرفانا
« صرح » بنته يد الله . . . فاهزأ ... فهز فى الدهر أركانا وبنيانا . . .
تلك المواكب . . تحدوها ملائكة . . ... فيسمع الليل نجواها ونجوانا . . .
تمضى ، ومن خلفها للأجيال ماضية ... تدعو الى (الدين) سادات ورعيانا
فأين من « دعوة التوحيد » دعوته ... وقد دعا الله « للتوحيد » أكوانا ؟؟

مكتبتنا العربية

يأيها الكاتب المفتون .. ما صنعت ... بك الليالى ، وماذا صار ، أو كانا ؟!
هل طفت (بالبيت) فى خوف فما ملأت ... فؤادك « الكعبة العذراء » إيمانا ؟
عداوة .. لم تزل فى الدهر باقية ... ولم تزل لصروف « الشيخ » عنوانا ..
فارجع الى « جنة » فى الأرض لاهية ... واسمع بها من فنون اللهو ألحانا ..
فأين « فتاتك الكبرى » فقد عصفت ... بك الشكوك ، وهذا الحين قد حانا ؟!
فافتح « بخطوتك الحسناء » أفئدة ... وافتح بها فى ربوع الشرق وديانا

* * *

تلك «الثقافات» هل جفت نضارتها ... فأصبحت بعد طول الهجر سلوانا ! ؟
فقمت تدعو الى «التوحيد» فى أدب .. ... فهل دعوت له صما .. وعميانا ؟
بعثتها « فتنة عمياء » فى (بلد) ... لم تدع فيه الى (الأخلاق) شبانا ! !
«يتيمة» من بنى قحطان .. قد ولدت ... فهز مولدها البسام « قحطانا » ..
كل امرئ فى الورى رهن بما صنعت ... يداه ... فاسكب دموع الليل أشجانا
رميت «.بالخطوة العرجاء» أفئدة ... وما انتفيت بها فى «الدار» إنسانا ! !
فأن (للدين) فى الوادى جحافحة .. ... وإن (للدين) و (الإسلام) فرسانا
فالكون أذن لهذا (الدين) واعية ... وإن للكون أسماعا وآذانا ...
يأيها « الشيخ » هل ضاقت مذاهبكم ... فلم تدع فى ربوع الأرض بلدانا
عهد النبوات .. يا «دكتور» قد ذهبت ... أيامه ، وطوى السلاف أزمانا
ضاع الشباب ، وما ودّعت نضرته ... فودع اليوم ... أحلاما وأضغانا
هذا هو (الصرح) فى أعلى مراتبه ... فأن فيه لصوت الحق (قرآنا)
لا يبعث الله شعبا .. ليس يجمعه ... (دين) يقيم له فى الأرض أركانا

صابر على رمضان الجوشنى

مكتبتنا العربية

صدى الخطوة العاثرة

ما كاد الدكتور طه حسين ينشر مقاله الأول عما سماه « الخطوة الثانية » وأتبعه بثان وثالث ، حتى انبرت الأقلام تدفع هذا الشر عن مصر ، وعن العروبة والإسلام ، فاضطررنا فى الشهر الماضى إلى إرجاء المواد العلمية التى كانت معدة له ، وأخذنا فى نشر ما كان يحمله إلينا البريد من عشرات المقالات فى تسفيه الخطوة الثانية والدعوة إليها ، فضاق نطاق الجزء الماضى عن كل موضوع آخر ، حتى أبواب المجلة فى وصف الكتب وأنباء العلوم والآداب وأحداث العالم الإسلامى .

ثم كان الأمر فى هذا الشهر أشد مما كان فى الشهر الماضى ، فنشرنا فى موضوع الخطوة العاثرة ما استطعنا نشره ، ونشير هنا إلى طائفة أخرى كبيرة من مقالات حضرات العلماء وقادة الرأى والكتاب . فمن ذلك مقالة لفضيلة الأستاذ الشيخ عياض سباق شيخ معهد قنا بعنوان « قلها حرة صريحة نشهد لك بها يا دكتور طه » .

ومقالة للأستاذ محمود منتصر القاضى بمحكمة القاهرة بعنوان « الدفاع عن الأزهر هو دفاع عن مصر ومصلحة العروبة والإسلام » .

ومقالة للدكتور عباس فتحى الهلالى الأستاذ بجامعة الاسكندرية عنوانها « الجامع الأزهر » تكلم فيها على تاريخه ومكانته العلمية وأنه كان قدوة الجامعات الغربية ، فى دراساته وأروقته وملابسه أيضاً .

ومقالة للأستاذ على على الدين المفتش بوزارة الشئون الاجتماعية عنوانها « ما هـذا العقوق للأزهر يا دكتور طه » ؟

ومقالة لفضيلة الأستاذ محمد عادل الشريف أمين الفتوى فى القدس والمدرس بالمسجد الأقصى عنوانها « أنقذوا الأزهر يا حماة الإسلام » .

ومقالة للأستاذ سالم أحمد الشيتى بكالوريوس إدارة أعمال من جامعة القاهرة وعضو مجلس طنطا البلدى عنوانها « فكرة هدامة » .

ومقالة للأستاذ مصطفى حسن المحلاوى عضو مجلس مديرية الغربية ورئيس الاتحاد الاقليمى للأندية الريفية عنوانها « حول توحيد التعليم » .

ومقالة لفضيلة الأستاذ على محمـد عامر المدرس بقسم البعوث عنوانها « الدكتور طه لا ينتهى » .

مكتبتنا العربية

ومقالة للأستاذ محمود أحمد عمر الغرداوى عنوانها « تحسس العصا ، واسأل قائدك » .

ومقالة للأستاذ محمد مصطفى الغمرى دبلوم معهد التربية العالى للمعلمين موجهة إلى الرئيس جمال عبد الناصر عنوانها « سيدى قائد الثورة » .

ومقالة لفضيلة الأستاذ معوض عوض إبراهيم واعظ بور سعيد عنوانها « الخطوة الثانية إحدى الخطايا » .

ومقالة للأستاذ محمود محمد بكر هلال رئيس اتحاد خريجى الأزهر ونقابة المهن التعليمية الفرعية بمديرية سوهاج عنوانها « الأزهر مظلوم » .

وقصيدة للأستاذ على سيد عاشور المدرس بوزارة التربية والتعليم عنوانها « الأزهر فوق الجميع » .

ومقالة للأستاذ فؤاد عبد الغنى المدرس بمدرسة سوهاج الثانوية عنوانها « رفقا بأنفسكم أيها الهدامون » .

ومقالة ثانية للأستاذ أحمد نصار القوصى عنوانها « الدكتور طه يتملص » .

ومقالة لفضيلة الأستاذ عبد المنعم حجاب المدرس بمعهد دسوق عنوانها « إلى الباطل دعوت » .

ومقالة لفضيلة الأستاذ أحمد محمد أبو ظلام المدرس بمعهد منوف الدينى عنوانها « الأزهر فى ماضيه وحاضره ومستقبله » .

ومقالة للأستاذ محمد محيى الدين مدير الجامعة الشعبية بطنطا عنوانها « الرجوع إلى الحق فضيلة » .

ومقالة للأستاذ ابراهيم الأمير سليمان المدرس بالمعلمين العامة بسوهاج عنوانها « على هامش الخطوة المزعومة » .

ومقالة للأستاذ محمد الضمرانى الباسكى المدرس بمدرسة شندويل الإعدادية عنوانها « الأزهر ذلك التراث الضخم الخالد » .

ومقالة للأستاذ هاشم عبد الحى صاحب جريدة (الفيوم) عنوانها « لحساب من تثار هذه العاصفة ؟ » .

ومضبطة استنكار من مواطنى مركز منوف عنوانها « الأزهر ملك العالم الإسلامى » . موجهة إلى ولاة أمور مصر وموقع عليها بنحو مائة توقيع بين مدرسين وأعيان وشيوخ البلاد وتجار ونظار زراعات وهم مجموع ممثلى منوف والبلاد التابعة لها .

مكتبتنا العربية

ومضبطة أخرى من عرب الجوازى بمديرية المنيا وعليها توقيعات العمد والشيوخ والأعيان

ومضبطة ثالثة من أهالى طوة تبع مركز المنيا عليها عشرات التوقيعات ، وهى تفيض عطفاً وحباً للأزهر وتعلقاً برجاله واعترافا بجميله على مصر والإسلام من ألف سنة إلى الآن .

ورسالة من الأستاذ أحمد محمد عطوه أمين توريدات مدرسة محمد على الإعدادية بالسيدة زينب تمثل عواطف المصريين جميعاً نحو أقدم جامعة إسلامية باقية على الدهر .

أما المقالات والقصائد من طلبة كليات الأزهر ومعاهده فى القاهرة والاسكندرية وسائر المديريات المصرية فإنها أكثر من أن يحاط بها .

وإذا اتسع نطاق المجلة فى أجزائها الآتية ، قد تتخير بعض ذلك للنشر . وهو بمجموعه يعد صدى لتلك الخطوة العاثرة ، ولكل ما يراد بالإسلام من كيد وشر .

حول توحيد التعليم

السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل مدير مجلة الأزهر الغراء

السلام عليكم ورحمة الله ـ وبعد .

فقد قرأنا مقالات الدكتور طه حسين عن توحيد التعليم ، وقد جاء فيها أن الأزهريين لا يتعلمون كما يتعلم الناس ، وكما ينبغى أن يتعلم الناس ، ولو كان الأمر كذلك لانصرفنا بأبنائنا عن تعليمهم فى الأزهر ، ولما انتظرنا مقالة السيد الدكتور

لكن تعليم الأزهر هو التعليم المحبب إلى نفوسنا ، لأنه يقوم على دعائم الدين ، ولا صلاح لأمة إسلامية لا يتعلم أبناؤها الدين .

وإنا نطالب أن يدخل التعليم الدينى كل مدرسة وكل كلية ، وأن يغزو كل قلب . وما كان أحب إلى قلوبنا من أن يكتب الدكتور وأمثاله فى الدعوة إلى ذلك ، حتى لا نرى هذا التحلل المنذر بأشد الأخطار فى الجامعات المصرية ، إذ بدت فى بعض أبنائها أفكار خطرة على الدين والدنيا .

وإنا لنأمل ـ فى هذا العهد السعيد الذى هو ثورة على الباطل ـ أن يؤيد الأزهر كل التأييد فى رسالته ، إذ رسالته هى رسالة الدين ، ونعتقد أن رسالة الثورة مستمدة من تعاليم الدين ، ولذلك أيدها رب العالمين ؛

محمد على أبو الوفا

التاجر ورئيس جمعية المحافظة على القرآن الكريم بمدينة دمنهور

مكتبتنا العربية

التبرع الحجازى

لنشر الثقافة الاسلامية

هل حوّله طه حسين لنشر روايات شكسبير ؟

لمناسبة الموقف الأخير الذى وقفه الدكتور طه حسين من الأزهر ومناهج التعليم الإسلامى ، لفت نظرنا فضيلة الأستاذ محمد فكرى عثمان إلى مسألة غريبة كل الغرابة ، وهى أن مبلغ عشرة الآلاف من الجنيهات التى كان قد تبرع بها فى العام الماضى الوجيه الحجازى السيد حسن الشربتلى لينشر بها تاريخ البلاذرى وغيره من كتب الثقافة العربية والإسلامية وقدم بهذه القيمة حوالة على أحد المصارف المالية باسم الدكتور طه حسين ، ما زال الناس يتساءلون : لماذا تأخر تنفيذ ذلك إلى الآن ؟ وهل صحيح ما نشرته مجلة آخر ساعة فى العدد ١٠٦٨ ص ١١ مما يشعر بأن الدكتور طه حسين رصد هذا المبلغ لنشر اثنتى عشرة رواية من روايات شكسبير ؟ مع أن هذه الروايات سبق لآخرين ترجمتها ونشرها ، فضلا عن أن هذا المال لم يرصد لذلك ، بل رصد لنشر كتب فى الثقافة العربية الإسلامية .

وفى زيارة الأديب السعودى الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار لقلم تحرير مجلة الأزهر سألناه عن هذه الواقعة ، فقال : إن هذا التبرع من السيد حسن الشربتلى صحيح ، وهو لتاريخ البلاذرى وغيره من كتب الثقافة الإسلامية دون غيرها ، وقد تسلم الدكتور طه حسين عشرة الآلاف من الجنيهات لهذا الغرض ، بل اشترط المحسن الكبير أن أكون أنا المشرف مع الدكتور طه حسين على تنفيذ ذلك . إلا أننى لما حضرت إلى مصر لأشرف على العمل وجدت الدكتور طه حسين قد سافر إلى أوربا . وقد اشترط المتبرع أن يبدأ بطبع تاريخ البلاذرى ، وإن لم يكف المبلغ للطبع أدفع من عندى بقية النفقات ، وما يفيض بعد الطبع أتسلمه لأنفق منه على طبع كتب إسلامية أخرى ، وما يجتمع بعد بيع النسخ المطبوعة تطبع به كتب إسلامية جديدة ، وهكذا . أما أن تطبع بهذا المبلغ روايات شكسبير أو غيرها من الكتب غير الإسلامية فنحن لا نوافق عليه ، ولا نسمح بأن يصرف مليم واحد من هذا التبرع على أى كتاب غير إسلامى ، مهما كان ذا قيمة أو نفاسة عند الدكتور

مكتبتنا العربية

أو غيره ، فالمبلغ تبرع به لطبع كتب إسلامية ، وأعتقد أن كتاب (فتوح البلدان) للبلاذرى لا يكلف طبعه وتحقيقه أكثر من ألفى جنيه ، وفى وسعنا أن ننفق بقية المبلغ على طبع تفسير للقرآن يكون المسلمون فى حاجة إلى إحيائه أو غير ذلك من الكتب الإسلامية الجيدة .

هذا ما أفضى به إلينا الزائر الفاضل السيد أحمد عبد الغفور عطار ، وبما أن ذلك يتعلق بأمر إسلامى عام رأينا أن نشير إليه على صفحات مجلة الأزهر ، لتتبين حقيقة الأمر فيكون المسلمون على علم بمصير تبرع خرج من ذمة أخ لهم من سراة المسلمين ليوضع فيما ينفع عامة المسلمين فى ثقافتهم التى تنكر لها دعاة الثقافات الأجنبية ، ووقفوا منها مواقف يؤسفنا أن يكون هذا مثلا من أمثالها ، لو صح كل ما روى لنا .

جامعيون !

روى الأستاذ محمد حسنين هيكل على لسان الأستاذ حسين عزيز الوكيل الدائم لوزارة الخارجية المصرية ، أن الوزارة أرادت تعيين ٨٩ ملحقا شابا فى وزارة الخارجية ليكونوا دفعة جديدة من سفراء المستقبل ، وفى الموعد المحدد للامتحان تقدم ما يقرب من مائتى شاب ، فسئل أحدهم وهو متخرج فى الجامعة وقضى بعدها سنتين فى معهد عال : ما هى عاصمة سوريا ؟

فأجاب : عمان !

وسئل متخرج آخر : ما هى دول الجامعة العربية ؟

فأجاب الشاب الجامعى الذى يريد أن يعمل دبلوماسيا : — تركيا وإيران .

وسئل جامعى ثالث عن عاصمة البرازيل ، فأجاب على الفور : الأرجنتين .

وسئل جامعى رابع عن عاصمة مديرية البحيرة ، فلم يعرف ، واعتذر بأنه لا يسافر كثيرا إلى الريف .

ومع ذلك أراد طه حسين أن تكون الخطوة الثانية فى الأزهر ، لا فى الجامعات !

مكتبتنا العربية

الكتب

التعزير فى الشريعة الاسلامية

للدكتور عبد العزيز عامر - ٤٨٢ ص - مطابع دار الكتاب العربى

هذا وعاء ملىء علماً ، بمجهود عظيم بذله الدكتور عبد العزيز موسى عامر رئيس الدائرة العسكرية بمحكمة الجيزة الوطنية ، فألم فى سبيل ذلك بكل ما وصلت اليه يده من المراجع القديمة والحديثة ، العربية منها والاجنبية ، وأحسن الغوص على درررها ، وأبدع فى تنظيمها وتصنيفها ، فجاء من ذلك كتاب فى هذا الفرع من فقه الشريعة الإسلامية يستحق عليه المؤلف كل ثناء . ولو أن كل عالم فى هذه الامة أحيا من وقته سنة أو سنوات لتنظيم فرع من فروع هذه الشريعة الخالدة كما فعل الدكتور عبد العزيز عامر فى فرع التعزير من الفقه الإسلامى لما بقيت لجاهل أو مغرض حجة فى صد الامة الإسلامية عن الرجوع إلى تشريعها الاصيل الذى أحياها العمل به فى الاجيال الثلاثة الأولى من تاريخ الإسلام وأماتها موته وإهماله من ألف سنة إلى الآن .

ويقول المؤلف فى فاتحة كتابه : « لما كنت أعتقد أن الطريق القويم إلى بعث هذا التراث الغالى ، وإلى طلوع نجمه من جديد على الكون . حتى يأخذ بأسباب التطور ، ويسير مع الزمن ، ليصير مصدراً لكل تشريع ، هو البحث والدرس والاستقصاء ، بغية إظهار مكنون نفائس هذه الشريعة فى ثوب قشيب ، وترتيب حديث ، يقرب كلياتها وجزئياتها إلى العقلية القانونية الحديثة ، فقد صح عزمى على أن أكون من هؤلاء الجنود الذين يعملون جاهدين فى سبيل هذا البعث : رغم ما يكتنف الطريق اليه من عقبات لايحيط بها الوصف ، واخترت موضوع هذه الرسالة فى الشريعة الإسلامية مستهلا بها عملى فى سبيل هذه الشريعة .

ونحن نسجل على القاضى الفاضل هذا الوعد بأن يكون هذا الكتاب براعة استهلال لما بعده ، ونرجو الله أن يبارك له فى وقته حتى يمضى فى خدمة مصر بتعريفها بشريعتها الاصيلة التى عملت بها عصوراً . بل إن عدالة هذه الشريعة وثمرتها فى المجتمع هى التى حببتها

مكتبتنا العربية

إلى مصر منذ عرفت الإسلام بسيرة الصحابة الذين نزلوا الفسطاط ، فنعمت بهذه الشريعة التى يقول عنها المؤلف إنها « خالدة أبدية ، من الله تعالى بها على الناس رحمة منه وفضلا ، وهو العالم بدقائقهم ، الخبير بما يصلحهم وما يضرهم ، وقد كانت من بدء الإسلام على ظهر الأرض النور الذى يضيء سبيل المسلمين » .

وقد ختم المؤلف كتابه بخاتمة مسك أعلن فيها « أن الشريعة الإسلامية فى الناحية الجنائية لاتقل عن غيرها من الشرائع ، بل هى فى كثير من المواضع تمتاز بالسمو والتفوق ، ومن مبادئها العامة مايساعد على حل كثير من مسائل الإجرام التى تحير فيها العلماء . . . وليس ذلك فقط ، بل إنها تعرضت لغير ذلك من المعاصى بغية الوصول بالمجتمع الإسلامى إلى مجتمع مثالى بعيد عن الإجرام والمنكرات » .

ولمناسبة ما عزمت عليه الدولة من التوسع فى دراسة الشريعة الإسلامية بقسم الليسانس وتعميم تعليمها فى سنوات الدراسة الأربع بكلية الحقوق ، نقترح أن يستفاد من الدكتور عبد العزيز عامر فى مثل هذه الدراسات الجامعية ليشبع رغبته من تعليم طلاب التشريع ، وليتاح له من الوقت ما يساعده على التوسع فى هذه الدراسات والتأليف فيها ، نقول هذا عن غير سابق تعارف معه ، وليكن مجهوده العلمى فى هذا الكتاب ومصلحة مصر القومية هما الحامل على ذلك ، وفى طليعة أسباب النجاح لأى دولة توسيد الأمور إلى أهلها . والله الموفق .

القياس فى الشرع الاسلامى

لابن تيمية وابن القيم — ١٣٢ ص — المطبعة السلفية ومكتبتها

أقام شيخ الإسلام ابن تيمية البراهين فى مؤلفاته على أن نصوص الشرع الإسلامى كلها - ما يتعلق منها بأصول الدين ، وما يتعلق منها بفروعه - جاءت على وفق العقول السليمة والفطر المستقيمة ، وأن القياس الصحيح دائر مع أوامر الشريعة ونواهيها ، فليس فى الشريعة شيء يخالف القياس ولا فى المنقول عن الصحابة ، فلم يشرع الله ما يناقض الميزان والعدل ، كما أنه لم يخبر الله ولا رسوله بما يناقض صريح العقل .

ولما كان بعض الفقهاء قد ادعوا أن بعض النصوص ثبتت على خلاف القياس ،

مكتبتنا العربية

فقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية رسالة بين فيها وجه الحق فى ذلك كقولهم فى « المزارعة » إنها ثبتت فى النص على خلاف القياس لأنهم عدوها من جنس الإجارة التى يشترط فيها العلم بالعوضين ، فبين ابن تيمية أنها ليست من جنس الإجارة بل هى أكثر انطباقا على المشاركات منها على المعاوضات ، والعلم بالعوضين غير مشترط فى المشاركات . وهكذا تتبع أكثر ما قالوا انه على خلاف القياس فبين أنه قياسى .

ثم تعرض لهذا الموضوع تلميذه ابن القيم فى اعلام الموقعين فزاده بيانا وتوضيحاً . وكان رئيس تحرير هذه المجلة قد جمع ذلك فى كتاب نشره قبل نحو ثلاثين عاماً ، ثم أعاد طبعه الآن فنلفت اليه الأنظار .

مع المجتمع

للأستاذ محمد الأسمر - ١٩١ ص - مكتبة دار إحياء الكتب العربية

هى مجموعة وصفها كاتبها الشاعر المبدع بأنه لم يحلق فيها بين سماء الشعر ، ولم يغص فيها بين أعماق الفلسفة ، ولم يتعلق فيها بأدب يشرحه أو ينقده ، ولكنها كلمات تتضمن أشياء شاهدها فصورها ، فهى لوحات فى صفحات . وهذه الكلمات أوحى بها ما يحيط بنا من شئون : بعضها من وحى الحياة ، وبعضها من وحى الحرب ، وبعضها من وحى النيل ، وبعضها من وحى الأغانى ، والبعض الآخر من وحى الدعابة .

وقلم الأستاذ الأسمر ناثراً كقلمه شاعراً : بلاغة ، وغوص فى عمق ، ونقد لا سيما إذا تأمل فى المجتمع واستوحى سرائره ومواطن ضعفه .

إن كتابه مع المجتمع ديوان من شعر الحياة ، سيحل فى مكتبات الأدباء والمثقفين الى جانب ديوانه الممتع البليغ .

تاريخ العراق بين احتلالين

للعلامة الأستاذ عباس العزاوى - الجزء السابع ٣٣٢ ص - طبع بغداد

سبق لنا فى المجلد الخامس والعشرين من هذه المجلة التنويه ببعض مؤلفات الأستاذ العلامة عباس العزاوى صاحب المؤلفات الكثيرة الممتعة ولا سيما فيما يتعلق بالعراق ، وقد تلقينا فى هذا الشهر الجزء السابع من كتابه تاريخ العراق بين احتلالين ، وهو يلم بتاريخ العهد العثمانى الثالث (من سنة ١٢٤٧ إلى سنة ١٢٨٩ هـ) أى من يده وزارة على رضا باشا

اللاز فى العراق إلى آخر أيام مدحت باشا ، وهو دور كان من هم الدولة العثمانية فيه أن تقطع دابر حكم المماليك فى العراق ، وأن تجعل إدارتها فى العراق إدارة مركزية مباشرة كسائر ولاياتها فى الأناضول والروم ايلى ، لكنها لم تفلح فى هذه المحاولة ولم تحسن الإدارة ، فتولدت مشاكل واستعصى الأمر وشمس الأهلون . على أن هذا العهد كان عهد انتقال متعثر ، وحتى مدحت باشا كاد يخفق لولا همته ومواهبه وتساهله .

وصديقنا الأستاذ العزاوى واسع الاطلاع ، عميق الدراسة ، غنية مكتبته بالمراجع والمستندات ، وكتابه (تاريخ العراق بين احتلالين) من أنفس مؤلفاتنا العربية فى هذا العصر ، وقد بلغ إلى الآن سبعة مجلدات ولما يتم ، وهو مزين بالصور وبعضها صور أثرية مهمة ، وألحق به فهارس عديدة وتعليقات ومستدركات . فنرجو له من الله دوام التوفيق فى خدمة الثقافة العربية الإسلامية .

عشائر العراق

للأستاذ المحقق عباس العزاوى ـ الجزء الثالث ٣٣٨ ص ـ طبع بغداد

وهذا مؤلف آخر نفيس للمؤلف الكبير الأستاذ عباس العزاوى المحامى ، وقد صدر منه الجزء الثالث عن عشائر أهل الأرياف فى العراق وهى العشائر الزبيدية والطائية وأحوالها وأنسابها والعشائر الملحقة بها أو التى تساكنها . أما الجزءان الأولان من الكتاب فأحدهما عن عشائر العراق البدوية ، والآخر عن عشائر الأكراد فى الشمال .

وكان موضوع القبائل العربية وأنسابها وبيان نظامها الاجتماعى من أهم ما عنى به أسلافنا وألفوا فيه الكتب الممتعة ، فلما جاءت عصور الانحطاط زهدنا فى مواصلة هذه الدراسة ، بل زهدنا فى الكتب القديمة التى ألفت فيها ، فضاع كثير منها وانتقلت بقيته إلى مكاتب الغرب ، إلى أن دبت فينا روح النهضة بين الحربين العالميتين ، فأخذ بعض علمائنا وأفاضلنا فى سد هذه الثغرة ، وفى طليعتهم الأستاذ العزاوى فأصدر حتى الآن عن عشائر العراق هذا الكتاب فى ثلاثة مجلدات ووعد بإصدار مجلد رابع ، وقد خدم بكتابه التاريخ ، والمجتمع المعاصر ، وساعد على وصل الحاضر بالماضى . وهذا الجزء كسائر كتب الأستاذ العزاوى مزين بالصور وملحق به فهارس متقنة . جزاه الله خيراً .

مكتبتنا العربية

الأدب والعلوم

مكتبة المدينة المنورة

فى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم عدة مكتبات أهمها مكتبة عارف حكمة الشهيرة . ولما تم بناء المسجد النبوى وتجديده رأى جلالة الملك سعود أن من تمام هذا العمل وكماله أن تجمع الكتب التى كانت موزعة فى مكتبات المدينة وينشأ منها مكتبة عامة جديدة على الطراز الحديث ، وتقام لها عمارة فى الجهة الجنوبية من المسجد النبوى ، وستكون فيها قاعات مطالعة وتنظم على أحدث النظم المتبعة فى دور الكتب .

منظار فلكى عالمى

فى (أم الريحات) بصحراء السويس

كانت جامعة القاهرة قد تعاقدت مع إحدى الشركات العالمية على صنع منظار فلكى عالمى كبير وقية معدنية خاصة به . وقد تم الآن صنع هذا المنظار وإعداده ، فقرر مجلس الوزراء إقامته فى منطقة (أم الريحات) بصحراء السويس . واتصل وزير التربية والتعليم بوزير الشئون البلدية والقروية للتنبيه على مصلحة المبانى بانشاء المبانى اللازمة لإقامة هذا المنظار وقبته .

أزهريون

لقيادة الفرق الكشفية

دربت جمعية الكشافة المصرية ٥٥ مدرساً من مدرسى الأزهر لإعدادهم قادة للفرق الكشفية التى أنشئت فى كليات الأزهر والمعاهد الدينية الإسلامية .

وعادت فدربت ٦٠ من قادة الكشف وهى تعد لهم معسكراً تدريبيا .

الثقافة الاسلامية

فى نيجريا والصومال

اعتمدت السكرتيرية العامة للمؤتمر الإسلامى النفقات اللازمة لإنشاء ثلاثة مراكز للثقافة الإسلامية فى نيجريا ، وستة مراكز فى الصومال . ويرح القاهرة إلى الصومال ثلاثون معلما لبدء نشاط هذه المراكز ، وسيكون فى كل مركز مكتبة وقاعة للمحاضرات والسينما والموسيقى ، على غرار المراكز التى أنشأها المؤتمر الإسلامى فى أندونيسيا والملايو ، ويتبع كل مركز مدارس ابتدائية وثانوية ، وكلية للمعلمين .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

مكتبتنا العربية

المعهد الأزهرى للبنات

تألفت لجنة من صاحب المضيلة الشيخ محمد عبد اللطيف السبكى مدير التفتيش رئيسا ومن السيد صالح الريدى المشرف العام على جمعيات المحافظة على القرآن الكريم ، والسيدة كريمة السعيد ، وأحد مفتشى وزارة التربية والتعليم أعضاء ، لوضع مناهج الدراسة فى معهد الفتيات الدينى الجديد ، وقد زودت هذه اللجنة بالأسس التى تقوم عليها هذه المناهج ، وينتظر أن تنتهى اللجنة من عملها ورفعه إلى مشيخة الأزهر .

طبع القرآن للمكفوفين

بطريقة بريل

بدأت الآن فى مصر تجارب لطبع القرآن للمكفوفين بطريقة بريل ، ويشرف على الطبع الخبير العالمى الكندى وهو رئيس معهد المكفوفين فى كندا ، وهو نفسه من المكفوفين ويتولى الاهتمام بمصالح المكفوفين فى جميع أنحاء العالم . وسيتم طبع القرآن الحكيم بطريقة بريل فى معهد تأهيل العميان فى الزيتون .

النقطة الرابعة

إلغاء مشروعاتها للتربية الأساسية بمصر

تقرر إلغاء مشروعات التربية الأساسية للنقطة الرابعة فى مصر ، وحدد لخبراء النقطة الرابعة موعد أقصاه يوم ٢٧ ديسمبر لإنهاء أعمالهم فى بلاد الجمهورية المصرية ، وستتولى إدارة التربية الأساسية فى وزارة التربية والتعليم القيام بهذه المشروعات وحدها .

مركز الثقافة المصرى

فى طرابلس الغرب

طار الصاغ كمال الدين حسين - وزير التربية والتعليم - إلى طرابلس الغرب فافتتح مركز الثقافة المصرى فيها ، وقد استقبل هناك بحفاوة تليق بالروابط الوثيقة بين البلدين العربيين المتجاورين . وقد حضر افتتاح مركز الثقافة المصرى عدد كبير من رجال الدولة والأعيان والسفراء ، وألقى الوزير المصرى كلمة نوه فيها بالعلاقات الأخوية بين ليبيا ومصر منذ أقدم العصور وأهمية دعم التعاون الثقافى بينهما بعد نيل حريتهما .

وقد زار وزير التربية والتعليم بعض المدارس فى طرابلس ، وزار الآثار فى غرب البلد ، ثم عاد إلى مصر موفقاً من هذه الرحلة الثقافية الميمونة .

مكتبات الفصول

كتبت إدارة المكتبات المدرسية بوزارة التربية والتعليم إلى المدارس تطالب إليها تنفيذ قرار لجنة وكلاء الوزارة الخاصة بأن يقتصر فى المدارس الابتدائية على مكتبات الفصل

مكتبتنا العربية

فى جميع الفرق . أما فى المدارس الإعدادية والثانوية فتكون بكل منها مكتبة المدرسة إلى جانب مكتبة الفصل .

وقد وضعت إدارة المكتبات تصميما لدولاب مكتبة الفصل روعى فيه الاقتصاد والوفاء بـ[illegible]جة ، على أن يعمم فى مكتبات الفصول .

ولوحظ أن فى مخازن وزارة التربية والتعليم كتباً من مخلفات مقررات السنين الماضية ، وهى مجموعات من كتاب (كليلة ودمنة) و (المنتخب من أدب العرب) وقصص انجليزية وفرنسية وغير ذلك ، فاقترح السيد الوزير الاستفادة من هذه الكتب بتوزيعها على مكاتب الفصول .

معهد إسلامى فى الصين

احتفل فى بكين بافتتاح أول معهد دينى إسلامى فى الصين ، ويستغرق برنامج الدراسة أربع سنوات ، وتلقى فيه المحاضرات باللغة العربية . وقد التحق فيه هذا العام ١٠٩ من الطلبة .

مركز ثقافى مصرى

فى بيت المقدس

عند زيارة القائمقام السيد أنور السادات مقر الهيئة العلمية الإسلامية فى القدس صرح بأن المؤتمر الإسلامى بالقاهرة قرر إنشاء مركز ثقافى فى مدينة القدس يضاهى أكبر المراكز الثقافية التى أنشئت حتى الآن ، وقد خصص لذلك ربع مليون جنيه .

مذكرات

عن الحروب الصليبية

تبحث اللجنة الثقافية للدول العربية مشروعا بترجمة المذكرات التى كتبها مؤلفون أجانب شاهدوا الحروب الصليبية وكتبوا مذكراتهم باللغات اللاتينية والفرنسية والسريانيـــه واليونانية ، والرسائل التى كتبها الذين اشتركوا فى هذه الحروب إلى ذويهم .

وظاهر من هذا البيان الذى نشرته إحدى صحف الصباح اليومية أن الذين كتبوا هذه المذكرات كلهم من الجانب الآخر أى الجانب الصليبى ، وقد كانوا جميعا فى عصر الحروب الصليبية متشبعين بالروح الصليبية ، وكان ينبغى للذين تقدموا بهذا الاقتراح أن يوازنوا بين مصلحة العرب والمسلمين من هذا العمل وبين مايلحقهما منه من ضرر ، وإن الأموال العربية التى فى أمانة جامعة الدول العربية يجب أن تصرف فى خير من ذلك . وعسى أن لا يكون لهذا المشروع غير المشروع علاقة بتبرع السيد الشريتلى المحسن الحجازى .

مكتبتنا العربية

أنباء العالم الإسلامي

الجيش السورى

كما رآه اللواء عبد الحكيم عامر

زار سوريا أخيراً اللواء عبد الحكيم عامر القائد العـــام للقوات المصرية والسورية المشتركة ، وقام بتنظيم القيادة المشتركة التى نص عليها الاتفاق الثنائى بين الجمهوريتين الشقيقتين مصر وسوريا .

وعقد اللواء عبد الحكيم عامر مؤتمراً صحفياً بدمشق تحدث فيه عن زيارته لمختلف وحدات الجيش السورى ، والمهمة الوطنية الكبرى التى اضطلع بها الجيش المصرى السورى الموحد للدفاع عن كيان الأمة العربية .

ونوه القائد العام فى حديثه بالصفات التى يتمتع بها الجيش السورى ، وهى صفات لا يضاهيها فى قوتها إلا روحه المعنوية العالية .

وأعرب عن إعجابه الشديد بالفدائيين السوريين ، وروح التضحية التى يمتازون بها .

ومما قاله : إن القيادة الاماميه للقوات المصرية السورية المشتركة ستكون فى دمشق وفى وسع الجيشين الحصول على ما يلزمهما من السلاح والعتاد . ومن دواعى السرور أن أبلغكم وصول الأسلحة التشيكو سلوفاكية إلى مصر . ومصانع الأسلحة الحربية تنتج الآن طائرات للتدريب وذخائر ثقيلة .

العرب يحذرون أمريكا

لأول مرة فى تاريخ الدبلوماسية العربية توجه وفد من ثمانية سفراء من العرب إلى وزارة الخارجية الأمريكية ، وعقدوا مع مستر دالاس اجتماعاً هاماً حذروه فيه من تقديم أية شحنة من الأسلحة لإسرائيل ، أو عقد ميثاق ضمان معها ، وأن هذا العمل يسىء إلى العلاقات بين الأوطان العربية وأمريكا ، ويقضى على كل أمل فى إقرار السلام فى الشرق الأوسط ، وأن إسرائيل كلما شعرت بقوة تأييد أمريكا لها يزداد عدوانها ، وهذا مما يحتمل أن تفقد به أمريكا كل احترام لها فى العالم العربى .

قضية اللاجئين العرب

نوقشت مشكلة اللاجئين العرب فى اللجنة السياسية الخاصة التابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة ، فأعلنت مصر بلسان رئيس وفدها

مكتبتنا العربية

فى الامم المتحدة أنها لن تخضع للعدوان ، وحذرت أمريكا مغبة تقديمها أية معونة للصهيونيين ، وأكدت أن تأييد الصهيونيين المعتدين يهدد السلام ، ويجب أن تكون القوة فى خدمة الحق ، ثم ناشد رئيس الوفد المصرى الضمير العالمى أن يعمل لوقف عدوان الصهيونية على العرب ، ولانقاذ اللاجئين الفلسطينيين مما حاق بهم من بؤس وشقاء نتيجة للجريمة التى ارتكبت ضدهم ، بل ضد حقوق الإنسان ومبادىء العدالة .

ورفضت الوفود العربية مشروع القرار الأمريكى البريطانى التركى بمناشدة الجمعيات الدينية والخيرية مساعدة اللاجئين ، وطالبت بتوكيد حقهم فى العودة إلى ديارهم . واقترح مندوب سوريا استفتاءهم . وأيدت الكتلة السوفيتية مطالب العرب .

ومما قاله رئيس الوفد المصرى : إننا نواجه أقلية شريرة أعماها التعصب وتسندها عناصر ذات نفوذ فى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ببعض الدول الكبرى ، وقد نجحت هذه الأقلية فى مؤامرتها الخبيثة التى ستظل سبة لهذا القرن .

عودة سلطان المغرب

مولاى محمد بن يوسف إلى عرشه

كان يوم غرة ربيع الآخر (١٦ نوفمبر) موعد وصول مولاى محمد بن يوسف ملك المغرب الشرعى إلى عاصمة ملكه ، بعد أن فشل الاستعمار فيما نصبه له ولبلاده من كيد . وان نحو نصف مليون من قبائل البربر اتجهوا نحو مدينة (رباط الفتح) ليشتركوا فى شرف استقباله ، فنزلوا بخيامهم حول المدينة ، واستقبلوا سلطانهم استقبال الفاتحين . وقد مر السلطان بين صفوف خيامهم مسافة طولها ١٢ كيلو متراً من المطار القريب من رباط الفتح إلى القصر الملكى فيها ، وبذلك أثبت العنصر البربرى من رعايا السلطان محمد بن يوسف أنهم ليسوا أتباع أحد سوى السلطان الشرعى للبلاد .

وقد زاد عدد الشعب المحتشد فى شوارع مدينة رباط الفتح على مليون نسمة من المحتفلين بعودة السلطان ، وكان الفرسان على صهوات جيادهم يطلقون الرصاص من بنادقهم فى الهواء تحية للسلطان العائد من منفاه . وما كادت سيارة السلطان تخرج من المطار إلى الطريق حتى قوبلت بمزيج من الهتافات والتصفيق وطلقات الرصاص من البنادق . وكان جلالته يحيى الشعب المحتشد على يمين الطريق ويساره بيديه والتأثر باد بوضوح على وجهه . وكان موكب السيارات والموتسكلات والفرسان يضطر مراراً إلى التوقف بسبب ازدحام الشعب فى استقبال مليكه .

مكتبتنا العربية

وكان الناس يبكون فرحاً بهزيمة الباطل ورجوع الحق ، مستبشرين بأن الله سيتم نعمته بزوال الاستعمار عن هذا الوطن الإسلامى العريق باصالته ومجده وماذلك على الله بعزيز.

٢٠٠٠ جنيه
من الأزهر لتسليح الجيش

تبرع الأزهر مرة ثانية بمبلغ ٢٠٠٠ جنيه مصرى لتسليح جيش الجمهورية المصرية، وكتب بذلك حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر شيكا سلمه للأستاذ صلاح الشاهد تشريفاتى الرياسة .

سوريا والمملكة السعودية

وقع وزير المالية والاقتصاد الوطنى السعودى ووزير الاقتصاد الوطنى السورى اتفاق قرض بمبلغ عشرة ملايين دولار ، وتسلمت سوريا القسط الأول من هذا القرض وقيمته أربعة ملايين دولار .

كما وقع الوزيران اتفاقا تجاريا يتضمن تبادل حاصلات البلدين الزراعيه والحيوانية معفاة من الرسوم الجمركية . وتبادل بعض المنتجات الصناعية معفاة من الرسوم الجمركية أيضاً .

السلاح الفرنسى لمصر

قال ناطق بلسان وزارة الخارجية الفرنسية إن الحكومة الفرنسية قررت تنفيذ اتفاقيات شحن الأسلحة إلى مصر . وتبلغ قيمة هذه العقود حوالى عشرة ملايين من الدولارات مدفوعة تماما من مصر لفرنسا . وتشمل مدافع الهاون وبعض الدبابات الخفيفة والطائرات النفاثة من طراز ميستير .

أكبر خطأ ارتكبته بريطانيا

بعثت الدكتورة مود رايدن من كبار زعيمات الحركة الدينية فى بريطانيا ، ومؤلفة كتاب (مشكلة فلسطين) رسالة إلى جريدة ديلى تلغراف قالت فيها « إن الخطأ الجوهرى فى مسألة فلسطين هو قيام دولة إسرائيلية . إننا عند ما سمحنا لأنفسنا بإنشاء وطن قومى لليهود بمقتضى وعـــد بلفور أعطينا لغيرنا ما لا نملكه » .

مساجد يافا وعكا

من المساجد الإسلامية التى انتهكت إسرائيل حرمتها مسجد الجزار فى عكا فحولته إلى ثكنة عسكرية ، وإن جنود إسرائيل تدنس الآن هذا البيت من بيوت الله على مرأى ومسمع من سدنة حضارة القرن العشرين .

وفى يافا مدت إسرائيل يدها الأثيمة إلى مسجد حسن بك وهو من أحدث وأجمل مساجد ذلك الثغر الفلسطينى ، فتحول هذا المسجد إلى ملهى ، وسدنة الحضارة الغربية فى واشنطون ولندن يتعامون عن ذلك ولا ينبسون ببنت شفة .

ترى بماذا يقابل المسلمون هذا البغى عملا بقاعدة « المعاملة بالمثل » ؟

مكتبتنا العربية

الفهـرس

صفحة	الموضـــوع	بقـــلم
	الاسلام دين ودنيا	فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر
	الثقافات الاجنبية استعمار عقلي والدعاة إليها طابور خامس	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
	حات القرآن : من أساليب التربية . . .	« عبد اللطيف السبكي عضو جماعة كبار العلماء
	: خاتم النبيين ـ ٢ ـ	« طه محمد الساكت . . . . .
	لة من صدر الاسلام	« محمد محمد أبو شهبة الأستاذ بكلية أصول الدين
٦٠	ر في القرآن	« أحمد الشرباصي المدرس بالأزهر . .
٤٩٢	طات : توجيه الامم لابن الخباز	« أبو الوفا المراغي . . . . .
٤٩٥	و ل من حديث صحيح . .	« محمد فؤاد عبد الباقي . . . . .
٤٩٩	نظام ن	« محمد رجب البيومي . . . . .
٥٠٢	شريعتنا	« عباس طه المحامي . . . . .
٥٠٩	موقف الاسلام من السلم والحرب . . .	« محمود فرج العقدة . . . . .
٥١٤	لغويات	« محمد علي النجار . . . . .
٥١٨	طه حسين وابنه « كلود »	« زكريا البري سكرتير التحرير . .
٥١٩	أسرار الشريعة الاسلامية في بدء الشهر الشرعي	« محمد أبو العلا البنا . . . . .
٥٢٤	الاسلام والمجتمع	« عبد اللطيف السبكي مدير التفتيش .
٥٣٤	كلمة فضيلة الأستاذ الأكبر في جمعية المحافظة على القرآن الكريم بدمنهور	
٥٣٧	نصيحة أبوية لفضيلة الأستاذ الأكبر في احتفال معهد دمنهور باستقبال فضيلته	
٥٣٨	كعبة المسلمين الثانية	« محمد علي الشنقيري المحامي . . .
٥٤٠	خطوة ثانية في اتجاه عكسي	« اسماعيل فتحي الحلو المحامي . . .
٥٤٤	سيصل اليكم مسلمون من بلاد الأزهر . .	دكتور محمد أحمد الشامي . . . . .
٥٤٦	عقدة نفسية	الأستاذ ابراهيم زكي عضو الشيوخ السابق
٥٤٨	اتقوا الله في الأزهر أيها المفتونون . . .	« عياض سباق شيخ معهد قنا . . .
٥٥١	الأزهر يجب أن يبقى	دكتور عبد الفتاح عبد الحميد . . . .
٥٥٢	الأزهر والثورة	الأستاذ السباعي الشناوي المراقب بكلية الشريعة
٥٥٣	تحرير الأزهر	« عبد الغني سلامة . . . . .
٥٥٥	بين الآونة والأخرى	« أحمد محمد الوكيل . . . . .
٥٥٦	ترات آبائنا ذخر لنا	« حسن أبو شليب المحامي بطنطا . .
٥٥٨	بل الأزهريون يؤمنون بالكتاب كله . .	الأستاذ محمد الطنيخي مدير عام الوعظ والارشاد
٥٦٢	أبطال التحرير يمجدون الأزهر	. . . . .
٥٦٦	الخطوة الثانية وإن غضب الغاضبون . .	الأستاذ صابر علي رمضان الجوشني . .
٥٦٩	صدى الخطوة العاشرة	(المجلة) . . . . .
٥٧١	طه حسين والتبرع الحجازي لنشر الثقافة الاسلامية	(المجلة) . . . . .
٥٧٤	الكتب والأدب والعلوم وأنباء العالم الاسلامي	(«) . . . . .